روايات

ALHAN

ألحان

إمرأة في دوامة

١٤١



ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

141

تدور أحداث هذه الرواية في "هوستون" حيث تلتقي "إيلين برادي" – تلك المرأة المطلقة والتي لديها طفلتان – مع "راد رامزي" سليل عائلة "رامزي" المتعاظمة بنفسها لأسباب غير معلومة .

تقع "إيلين" تحت سحر "راد" المعروف عنه أنه رجل يوقع النساء في حبائله ، لكن لا تستمر أية علاقة عاطفية له مع أي امرأة كثيرا وخصوصا بعد فشله في تجربة زواجه الأولى . ما السر وراء سلوك "راد" هذا ؟

لماذا لا يرغب في الزواج مرة أخرى ؟

من ناحية أخرى ما السر الذي يربط بين "إيلين" و"تروي تيمون" الذي يكرهه "راد" من ناحية ... في حين أن أخته "فانيسيا" تسعى إلى إيقاعه في حبها من ناحية أخرى ؟؟

كل تلك الأسرار ستكتشفها – عزيزي القارئ – واحداً تلو الآخر لدى متابعتك لهذه الرواية الممتعة .

الشخصيات الرئيسية

"إيلين برادي" : امرأة مطلقة ولديها طفلتان .

"راد رامزي" : المدير العام لشركة "رامزي وابنه" ومعروف عنه غرامياته الكثيرة .

"كولين" و"ميجين" و"تارا" و"شارون" : اخوات "إيلين" .

"سلاد" و"جاد" و"ريكي" و"فانيسيا" : يمثلون آل "رامزي" .

"كاري بث" و"كورتني" : طفلتا "إيلين" .

الغلاف الأمامي

لم تتكلم "إيلين" . لقد اكتشفت بفضل "راد" مشاعر جديدة : لم تكن تعرفها على الرغم من أنها كانت متزوجة حتى أصبحت أما .

لقد أصابتها تلك المشاعر الجديدة بالحيرة والاضطراب . لكنها لا تعرف سببها . ربما تدين بجزء من الحقيقة إليه .

- اسمع . زواجي كان عاديا لكنه يخلو مما تريده المرأة . "شارلي"... أساء إلي ... أساء إلي كثيرا .

لم تتمكن من مواصلة حديثها . تخلى عن عناقه لها وقد شعر بالسخط حينما علم أن هناك رجلا قد عاملها بمنتهى القسوة والعنف.

تملكه الخوف في الحال . إنهما يوشكان ان يبوحا بادق أسرارهما لبعضهما البعض .

الرمال المتحركة ... لقد جذبته "إيلين" نحوها رغما عنه . لقد كاد ان يطمر جسده تحت هذه الرمال . لقد كاد أن يفلت سره منه...

المقدمة

تذمر "راد رامزي" :

- احتاج إلى قائمة الأشخاص .

كان أخوه الأصغر قد اخبره بزواجه بـ"شارون برادي" .

- أخوات "برادي" يتشابهن جميعهن ، نفس الابتسامة حتى نفس الصوت . هل من المفترض علينا جميعا ان نميزهن عن الأخريات ؟

كان "سلاد رامزي" ولدا خدوما ، فقد أخذ ورقة وسطر عليها أسماء أخوات "برادي" .

قال بلهجة قاطعة :

- لنبدأ بالأخت الكبرى "شارون" . إنها لي يا "راد" .

- اتفقنا .

- ثم تاتي "كولين" و"ميجين" اللتان لا تزالان تذهبان إلى المدرسة. أما الثالثة "تارا" فتذهب إلى الجامعة . إنها فتاة طموح ولامعة .

قال "راد" وهو يضع علامة على الأسماء الأربعة :

- إنهن جميعهن شابات في نظري . على اية حال لا تعني لي

الفتيات اللامعات والطموحات أي شيء .

القى "سلاد" نظرة تسامح على أخيه .

- هناك اخيرا "إيلين" . إنها اصغر سنة من "شارون" وأم لبنتين صغيرتين : "كاري بث" و"كورتني" .

تقلصت أصابع "راد" على قلمه . "إيلين" ، إنه يعرف من هي .

كان يهمس :

- اجملهن .

اجابه "سلاد" :

- "شارون" ايضا جميلة جدا . كلهن جميلات .

لم يعد "راد" يسمعه فقد كان مستغرقا في ذكرى "إيلين" .

في المرة الأولى التي قابلها فيها لم يستطع أن يتركها بعينيه ، ومن وقتها تطارد صورتها خياله . كان هذا غير معتاد ومقلقا بالنسبة له .

تفرس "سلاد" اخاه بفضول . إنه ليس من النوعية التي تحلم وعيناه هائمتان .

قال "سلاد" :

- زوج "إيلين" ووالد الطفلين مات بعد طلاقهما .

ثم قال مصرا لما راى "راد" يلتزم الصمت :

- حسنا ، وما رايك في "إيلين" ؟

صاح "راد" الذي وطئ الأرض بقدميه :

- وكيف افكر فيها ؟ إنني لا افكر في اي شيء على الإطلاق . لا هي ولا اخواتها . اقدر جيدا ان ولدا طيبا مثلك يمكنه ان يترك نفسه للانجذاب نحو إحدى هذه البنات الساحرات . لكن انا ابداً !

إنك لن تقابل رجلا اعزب اكثر قسوة مني . إنني احب حريتي . إنني اتحدث بجدية يا "سلاد" . لن يقيدني احد ، وإنني عازم على ذلك .

- اتحاول إقناع نفسك ام إقناعي يا "راد" ؟

ترك "راد" الغرفة بخطوات سريعة وهو يشعر بالغضب . تفحص "سلاد" قائمة الأسماء . كانت أسماء "تارا" و"كولين" و"ميجين" مشطوبة

ولكن اسم "إيلين" محاط بعدة دوائر .

* * *

لم تكن "إيلين برادي" في حاجة إلى قائمة لتحدد اعضاء اسرة "رامزي" . كان كل واحد منهم له شخصية فحتى لو احست بفقدان الذاكرة فإنها لن تنساهم .

هناك اولا "كونتين" و"نولا" راعيا الأسرة . إن سلوكهما الواثق والعنيف أحيانا وصراحتهما الفظة لا يمكن وصفهما . ثم ياتي "سلاد" الولد الساحر الذي يحب "شارون" . ياتي بعد ذلك "چاد" و"ريكي" واختهما "فانيسيا" . إن الثلاثي الأخير مرعب جدا . كان "سلاد" و"چاد" و"فانيسيا" يعملون في شركة الأسرة "رامزي وابنه" التي يديرها "كونتين" . اما "ريكي" فقد انهى دراساته في الجامعة .

هناك أخيرا الابن الأكبر "راد" . اضطرم قلب "إيلين" . عندما اغمضت عينيها راته امامها والابتسامة الساخرة تعلو شفتيه وكانها شيء مالوف . إنه مرعب مثل الأخرين وربما أكثر . من أجل أسباب غير معروفة لـ"إيلين" فإن "راد رامزي" قد سحرها بشخصيته . إنها لا تستطيع في ظل وجوده أن تتركه . عيناها وكل ما يخصه يسجل في راسها . إنها تعرف عنه ايضا انه المدير العام لشركة "رامزي وابنه" وانه معروف بغرامياته الكثيرة وانه قاس ووقح . باختصار إنه رجل يجب تجنبه باي ثمن .

كانت "إيلين" تكرر هذه الأشياء لنفسها اكثر من مرة في اليوم الواحد، وغالبا في الليل ...

الفصل الأول

فكرت "إيلين برادي" في أن الولع بـ"راد" اكثر شيء حمقا فعلته في حياتها على الرغم من انها ارتكبت اخطاء كثيرة على مدى عمرها البالغ الثلاثة والعشرين عاماً . أن تحب "راد رامزي" فهذا تخط لكل الحدود !

جالت بنظراتها بين المدعوين المجتمعين في الصالون الكبير لضيعة "رامزي" في "هوستون" . كانت عائلتا "برادي" و "رامزي" تحتفلان بميلاد أول طفل لـ"سلاد" و"شارون" .

بعيدا عن ضجة الاحتفال كان "راد" يصب لنفسه كاساً ثالثة من الشراب .

تساءلت "إيلين" عن سبب تناوله للشراب .

لم تترك "إيلين" بعينيها البنيان الجسماني القوي لـ"راد" الذي تبرزه البذلة الرمادية المدهشة التي يرتديها والمتناسقة مع لون عينيه ، لأن لديه عينين مثيرتين لم تر لهما مثيلا . فقد كانتا عابستين وباردتين لكنهما تلمعان من الذكاء والجاذبية .

كررت "إيلين" لنفسها "هذا الرجل خطير" . كانت "إيلين" تعيد هذه

الجملة على مسامعها كثيرا . إنه وسيم وغني وذو خبرة وواثق بجاذبيته . الجميع يقول عنه : إنه "زير نساء" وعلى الرغم من هذا كانت "إيلين" مشدودة إليه .

تأوهت بداخلها لما دق قلبها وقد استسلمت لشغفها التائه . إنه لم يمنحها أي فكرة عن نفسها سوى أنها إحدى الأخوات الأربعة لزوجة "سلاد" الذي لزم عليه السماح لهن بحضور الاجتماعات الأسرية .

طلب "كونتين" راعي الأسرة :

- لنأخذ صورة أخرى للطفل الرضيع وكفلائه . "راد" ... "إيلين" تعاليا بالقرب من النافذة . الحديقة ستكون خلفية رائعة .

اعترض "راد" :

- لقد أخذنا يا والدي عشرات الصور في الحديقة . لماذا الكفلاء مرة أخرى ؟ صوروا الطفل محاطا بأعمامه الآخرين وخالاته ولا تنسوا الوالدين السعيدين !

ارتجفت "إيلين" . من أين أتت نبرة الألم التي لمحتها في صوت "راد"؟

أجابه "كونتين" :

- كف عن الرثاء لنفسك . اليوم يوم عظيم نحتفل به بأميرتنا الصغيرة فلابد أن نلتقط صورا كثيرة .

أجابته "ڤانيسيا رامزي" بابتسامة ساخرة :

- "راد" متعجل الرحيل . لديه موعد ظريف مع ... من هي في هذا الشهر يا"راد" ؟ "تينا چيمسون" ؟ "سيندي لي كروفر" ؟ "لورين إيفانز" ؟ إنني متحيرة في أسماء مغامراتك العاطفية .

أضاف "چاد رامزي" :

- وهو أيضا .

قال "راد" :

- يمكنك التحدث ! إنك لم تخرج أكثر من أسبوعين مع نفس الفتاة...

انفجر "ريكي" و"ڤانيسيا" في الضحك . تبادلت "إيلين" وأخواتها

نظرات الحيرة . هل هذا مجرد تبادل السخرية أو أنه بداية شجار وفق القاعدة . منذ أربعة عشر شهرا تعرفن على آل "رامزي" وأتيحت لهن الفرصة لمشاهدة الموقفين .

قالت "نولا رامزي" متذمرة :

- هذا ليس غريبا . يا إلهي ! "راد" إنك بلغت الخامسة والثلاثين و"چاد" التاسعة والعشرين و"ڤانيسيا" الرابعة والعشرين . ستخرجون وسترقصون حتى آخر نفس . لقد آن الأوان لتتمتعوا بالاستقرار مثل أخيكم "سلاد" وتنجبوا مثله أيضا .

قالت "ڤانيسيا" متذمرة هي الأخرى :

- أرجوك يا "أمي" لا تعيدي هذا . لقد تحققت أمنيتك العزيزة وأصبحت جدة . تمتعي بالطفلة ودعينا نحن !

صاح "كونتين رامزي" :

- أمك لديها الحق ! لقد آن الأوان - على أية حال - أن يتخلى "راد" و"چاد" عن فكرة العزوبة الغبية ويتزوجا . وهنا يوجد كل ما يلزم .

أحست "إيلين" بمعدتها تتقلص بينما نظرات الاستحسان في عيني "كونتين" اللتين تتفرسانها .

ثم استطرد :

- إنني لا أتحدث عن "ميچين" و"كولين" بالتأكيد . إنني أتحدث عن "إيلين" و"تارا" اللتين يعتبر عمرهما مناسبا . إنهما أيضا جميلتان مثل "شارون" . ربما تنجبان أطفالا بسرعة مثل أختهن .

اقتربت "إيلين" من أخواتها وقد اضطرم وجهها .

صاحت "تارا" :

- لا أريد الزواج بهذا أو ذاك . إنهما عجوزان جدا ! أتمنى الانتهاء أولا من دراساتي والالتحاق بعمل والسفر عبر العالم كله... وربما أقرر بعد ذلك عدم الزواج مطلقا !

قال "راد" :

- لا تعتمدي علي كثيرا . لقد حاولت قبل ذلك . الزواج لا يناسبني .

هل انت من رايي يا "إيلين" . إنك ايضا عشت تجربة زواج مريرة .

اجتاح سيل من المشاعر المتناقضة "إيلين" : الخوف من ذكرى زواجها المؤلمة والسعادة لسماع "راد" ينطق باسمها .

سالته :

- هل كنت متزوجا ؟ لم اعلم ذلك .

علق "راد" على كلامها وهو يهز كتفيه :

- ارتباط يؤسف له حقا . لا جدوى من ان نتحدث عنه .

قالت أمه مفسرة الامر :

- تزوج "راد" حبيبة الجامعة بعد ان حصل على شهادته وانتهى كل شيء بعد مرور ثلاث سنوات . لا ينبغي عليك ان تفكر في الامر يا ولدي وتتزوج .

اجابها "راد" مع ابتسامة بسيطة :

- منذ وقت طويل يا أمي لم اعد افكر فيه . إن الزواج - بالنسبة لي - مثل طبق السمك تذوقته مرة ورايت انني لا احبه .

كررت "ميجين" :

- سمك ! هل كانت زوجتك قبيحة إلى هذا الحد ؟

ابتسم "راد" .

- لا . إنها طريقة للتعبير عن إحساسي . لقد كانت جميلة جدا لكننا كنا نتناقش مثل القط والفار . كان الامر متعبا وقررنا ان ننفصل .

كانت قصة حب قديمة منذ اكثر من عشر سنوات . لنغير الموضوع .

استحسنت "إيلين" في قرارة نفسها هذا المبدا . كان زواجها بـ"شارلي راي تيلر" خطا فظيعا ولم تحتفظ منه إلا بذكريات مؤلمة.

لكن نتج عنه شيئان صغيران مدهشان . اضاءت ابتسامة رقيقة وجه "إيلين" حينما رات طفلتيها "كاري بت" و"كورتني" يدخلان الحجرة وهما تضحكان بشدة .

كان الجو العام مريحا وضحك الجميع لدى رؤية الطفلتين الصغيرتين تجريان نحو امهما .

قالت "كاري بت" :

- مامي يوجد ثقب في جورب "كورتني" . كانت تريد ان تاكل الرمل وانا قلت لها : لا .

كررت "كورتني" :

- لم آكل الرمل .

قال "راد" :

- شكرا على هذه النصيحة . سنعتني بها جميعا .

صححت "كاري بت" :

- انا التي قلت : ممنوع اكل الرمل .

اعتذر "راد" قائلا :

- أوه ! عفوا . نحن ندين إليك إذن بهذه النصيحة الغالية . شكرا يا "كاري" .

استطردت الطفلة :

- "كاري بت" . واختي تدعى "كورتني" . "كورتني" فقط .

اجابها "راد" :

- ربما بالنسبة للجميع . اما بالنسبة لعمك العجوز فهي "كورتني آن" وانت "كاري" . "كاري" فقط .

قهقهت "كاري بت" :

- إنك غريب مثل أبي !

منحها "راد" ابتسامة ... ابتسامة عطوف لم تعرفها "إيلين" عنه.

وفجاة لما احست "كورتني" أن اختها تستاثر باهتمام الجميع اندفعت نحو "راد" وتشبثت به .

قالت وهي تمط شفتيها :

- بين ذراعيك .

انفجر "راد" في الضحك . كانت ضحكة صادقة بعيدة عن مزاحه المعتاد .

قال وهو يرفعها بين ذراعيه :

- إنكما – أنتما الاثنان – مهرجتان . متى ستتوقفان عن مناداة كل الرجال الذين تشاهدانهم بـ"أبي" .

ثم أضاف وهو يشير إلى والده :

- هل هو أيضا والد ؟

صححت "كاري بت" قوله :

- لا . إنه جد .

ضحك الجميع من كلامها .

تدخل المصور في الحديث :

- يا سيد "رامزي" ، هل تريد صورة للطفلة الرضيعة والكفيلين؟

دفع "كونتين" "راد" و"إيلين" أمام النافذة .

ثارت "كورتني" وهي تحيط ذراعيها بعنق "راد" :

- ليست الطفلة ولكن أنا !

احتضن "راد" الطفلة الصغيرة . لسبب غير معلوم اختارته "كورتني" من بين جميع الحاضرين منذ أن رأته أول مرة . بدأت تعطيه بعض الأشياء وأصبح "راد" أثيرها الوحيد . حاول أن يبدو باردا وغير مبال لكن بلا جدوى . لقد تغلب عليه إصرار "كورتني" الرقيق وبدأ "راد" يحب البنت الصغيرة وأختها .

لم تعد لديه الرغبة في أخذ الطفلة الرضيعة بين ذراعيه . كان الوجه الصغير المتعب يشعل بداخله جرحا خافيا ففي كل مرة كان والداه يهنئان "سلاد" كانت تجتاحه رجفة برد شديدة .

قال "سلاد" :

- "كورتني" ، أرجوك .. اتركي العم "راد" يأخذ الطفلة الرضيعة بين ذراعيه .

- لا !

أكدت "كاري بت" في هدوء :

- "كورتني" تحب الوالد "راد" كثيرا .

قال "راد" :

- إنه أمر متبادل .

ثم أضاف بلهجة قاطعة لم يجرؤ والداه على معارضتها :

- التقط الصور التي تريدها لكني على أية حال سأحتفظ بـ"كورتني" بين ذراعي !

التقطت عشرات الصور . كانت الطفلة الرضيعة تنتقل من ذراع إلى أخرى بينما نامت "كورتني" بين ذراعي "راد" وهي تضع أصبعها في فمها .

بعد رحيل المصور تحول الحوار إلى الموضوع المفضل لدى آل "رامزي" : العمل .

قال "كونتين" :

- على ما أظن يا عزيزتي "إيلين" أن لدينا موعدا في العاشرة من صباح الغد في مكتبي .

كان "كونتين" يتحدث بلا اكتراث مصطنع لم تنخدع "إيلين" به . لقد كانت تعرف تماما الأهمية التي يعلقها على هذا الموعد .

أجابته بأدب :

- نعم يا سيدي . سأتواجد هناك .

- ناديني بالعم "كونت" فهذا سيسعدني . بعد ذلك إنك تذكريني بعمتي العزيزة والمأسوف عليها ، العمة "أوجستا" . أليس كذلك ؟

كظمت "إيلين" ابتسامتها ولاحظت أن "راد" لم يخف ابتسامته . إنه أيضا لابد من أنه يتذكر المقابلة الأولى العاصفة للعائلتين . كان "كونتين" في هذا الوقت ساخطا . لقد أوصت عمته "أوجستا" إلى جارتها الشابة "شارون" بربع أسهمها في المركز التجاري الذي شيدته شركة "رامزي وابنه" . لما تضايقت "شارون" التي كانت تخرج مع "سلاد" في ذلك الوقت تنازلت عن أسهمها إلى "إيلين" .

ومنذ ذلك الوقت لم يكف "كونتين" عن مطاردة "إيلين" لكي يشتري منها الأسهم مرة أخرى ، بعد مرور سنة من المعارك القضائية بخصوص المبلغ المدفوع سيتم التوقيع في اليوم التالي. إنها ستتسلم

مبلغاً كبيرا قررت أن تتقاسمه مع أخواتها .

سأل "كونتين" :

– هل تريد أن أرسل إليك سيارة ؟

أجابته دون أن تكف عن النظر إلى طفلتها الصغيرة النائمة بين ذراعي "راد" وقلبها منقبض :

– لا ، شكرا . سأستقل سيارتي .

هل هذا هو الرجل الذي قالت عنه أختها "فانيسيا" : إنه يستحق أكثر من الشنق ؟

أجابها "كونتين" :

– هذا غباء . المرور في "هوستون" فظيع . "راد" سيمر عليك ليصطحبك .

اعترض "راد" :

– لقد قالت : إنها تريد ركوب عربتها . ثم إنها تعيش في "هوستون" منذ سنة وقد اعتادت الضجيج .

عانت "إيلين" المحاولات البغيضة التي يفتعلها "كونتين" ليقربها من "راد" الذي لا يتضايق في إبعادها بوحشية .

قالت :

– على أية حال فإنني أحتاج إلى سيارتي لكي أذهب بعد ذلك إلى مركز الإسعاف .

صاحت "فانيسيا" :

– مركز الإسعاف ! هذا كرم منك لكنك لست مضطرة للذهاب إلى هناك . أرسلي شيكا إذن .

قالت "شارون" مفسرة :

– "إيلين" لديها مسؤوليات كثيرة في المركز من بينها عشاء عيد الشكر . أكملت "إيلين" حديث أختها :

– ونحن لا نجيد الطبخ .

قال "جاد" :

– أرى تماما "فانيسيا" وهي مرتدية فوطة المطبخ وغطاء الرأس الأبيض .

ضحك الجميع على كلام "جاد" .

أكدت "تارا" :

– على أية حال سأذهب أنا و"إيلين" و"كولين" و"ميجين" للمساعدة طوال اليوم .

تدخلت "تولا" :

– بالتأكيد لا يا عزيزتي . إننا ننظم حفلة كبيرة كل سنة في يوم عيد الشكر . إنني أعتمد عليكن حتما .

قالت "شارون" :

– يمكنك الاعتماد على "سلاد" والطفلة الرضيعة وأنا . لقد وعدت أخواتي بالذهاب إلى المركز .

سأل "راد" وهو يرمق "إيلين" بنظرة ساخطة :

– ومن سيعتني بـ"كورتني" و"كاري بث" في ذلك اليوم ؟

جرحتها هذه الملاحظة .

قال "سلاد" :

– "إيلين" لم تهمل أبداً طفلتيها . إنك تدين لها بالاعتذار !

– اعتذار ؟ لأنني أهتم براحة الطفلتين الصغيرتين ؟ إذا كانت "إيلين" وأخواتها يردن قضاء يوم عطلتهن فهذا شأنهن لكن هذا ليس بالمكان الذي تذهب إليه الطفلتان !

قالت "تولا" :

– "راد" محق يا عزيزتي . اتركي لنا الطفلتين الصغيرتين في هذا اليوم .

اقترح "ريكي" :

– سيرعاهن العم "راد" .

تعجبت "فانيسيا" :

– من الممتع أن نرى "راد" يلعب دور الأب طوال اليوم ! "شارون"

امنعك من مساعدته حتى ولو في تغيير لفافات "كورتني".

قال "چاد" مازحا :

- إنه سيعلمها استخدام الحمام .

قال "راد" :

- إنني سعيد ان الفكرة تسعدكم . سادعو صديقة للعناية بمشكلة اللفافات .

قالت "إيلين" ساخطة :

- لا يهم هذا ! يمكنك الاحتفاظ بصديقاتك الصغيرات لنفسك ساصطحب طفلتي معي ويمكنك ان تتاكد انهما لن يجلبا اية مشاكل .

قالت "نولا" :

- لندع هذا يا عزيزتي . "راد" لن يدعو احدا . لقد وعد بان يعتني بالطفلتين وسيفعل .

اضاف "ريكي" مع همهمة :

- سنعتني بهما جميعا .

قال "كونتين" في النهاية :

- قد قبل ما انتهينا منه .

انتهى هذا الموضوع وانتقل الجميع إلى الصديقة الصغيرة الأخيرة لـ"ريكي" .

كان شعرها جافاً ويزيد عمرها عنه بمقدار خمس سنوات .

عبر كل فرد من آل "رامزي" عن رأيه .

أحست "إيلين" بالتعب فجاة .

- حان وقت عودتنا .

قال "راد" دون أن يترك لها فرصة الاختيار :

- سأحمل "كورتني" إلى سيارتك .

كان لابد ان تتبعه . ويد "كاري بت" الفاترة في يدها .

الفصل الثاني

قال "راد" حينما كان يجلس "كورتني" في مقعدها دون أن يوقظها :

- اراك غدا عند التوقيع .

- إن شاء الله .

كانت هذه هي المرة الأولى التي تتواجد بمفردها معه مما أصابها بالعصبية .

- لابد ان تاتي في الميعاد . والدي قادر على إرسالك إلى عربة السجن .

ابتسمت "إيلين" . نظرت إلى حزام أمان "كاري بت" واغلقت الباب وادارت السيارة .

تخطاها "راد" . كان واقفا أمام باب السائق .

همس :

- أنا متاسف لما قد حدث بالداخل . لم تكن لدي النية لمضايقتك لانني اعلم جيدا أنك لا تهملين طفلتيك .

توقف عن تكملة كلامه وهو دهش . إنه لم يكن ينوي ايضا ان يمكث

إلى جانبها أو يلقي بنفسه في دوامة الاعتذار . استطرد بلهجة مستأنسة .

– لكنني مازلت مصراً على أهمية وجود الأم بجانب أطفالها وخصوصا في يوم العيد !

– اسمع ! منذ أن ولدت طفلتاي فإنني لم أتركهما يوما واحدا . عندما أذهب إلى مركز الإسعاف تكون "كاري بت" في المدرسة و"كورتني" لدى أختي . حصصي في الجامعة تبدأ في المساء عندما تنامان .

قال مازحا :

– هذا صحيح . سمعت من يقول : إنك تترددين على الجامعة . إنني أسأل نفسي عن السبب .

– إنني آخذ حصصا في تاريخ الأدب الإنجليزي من باب التذوق. وربما لكي أعلمها فيما بعد في "سي . إي . أس" .

تعجبت بدهشة :

– هذا مدهش حقا ! بل إنه جدير بأحد أفراد آل "برادي" . لكني لن أرثي لحالي ! يمكنك في هذا الوقت أن تطمحي إلى وظيفة رئيس "رامزي وابنه" .

اتسعت عينا "إيلين" .

– يا لها من فكرة ! لا أعتقد أن طفلتي لن تعانيا كثيرا في ليلة عيد الشكر لأنهما تناولتا العشاء بدوني مرة واحدة في السنة . رغبتي الوحيدة هي مساعدة الأشخاص المحتاجين مادام لدي الآن الوقت والمال . لكنني لن أفعل شيئا يجعل طفلتي تتألمان .

قال "راد" في قرارة نفسه : "إنها جميلة حقا" .

إن كل بنات "برادي" جميلات مع تكوينهن الجسماني وشعرهن الأشقر الناعم وعيونهن الكبيرة الداكنة . أما لدى "إيلين" فإن كل قسماتها جميلة . ذلك الجمال الطاغي الذي يبرزه فستان من الحرير .

كرر لنفسه : "إنها ليست من نمط المرأة التي أفضلها" !

لكن الأمور معها قد تشتط بعيدا . يوجد بينهما علاقات أسرية وغير

ذلك !

لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من مداعبة خد "إيلين" .

همس وهو يسحب يده فجأة :

– لا .

أحست "إيلين" – وقد انتفض قلبها وجسدها – بدفء أصابع "راد" على خدها .

قال بجفاء :

– لننس هذا .

سألته :

– ماذا تقصد ؟

– لن أنوي أخذ ما تسرعين بمنحي إياه .

تورد خداها بشدة .

قالت متلعثمة :

– لا أفهم ما تقصده .

– "إيلين" لنكن صريحين مع بعضنا البعض . اتفقنا ؟ أعلم ما تحسين به نحوي .

كان هذا منذ سنة عندما حضرت العرض .

تلعثمت بخوف :

– إنك ... مخطئ .

– "إيلين" . إنني أعرف النساء جيدا وربما ذوق بعضهن .

تعلمت التعرف على الإشارات البسيطة التي تفصح عن مشاعر امرأة تجاه الرجل . بدوت رزينة وماكرة لكن لم يفلت شيء من تحت نظري وقررت ألا أهتم بذلك .

خفضت "إيلين" عينيها . إنها لا تتذكر أنها شعرت بمثل هذا الخجل من قبل . ماذا تقول ؟ ماذا تفعل ؟ لابد أن النساء اللامعات اللاتي عرفهن "راد" يعثرن – سريعا – على رد لاذع .

تنهد "راد" :

- إن ما حدثتك عنه وضايقك هو ما لم انوه أبداً . إنك جميلة جدا يا "إيلين" . علاوة على انك غنية ! فلديك مجموعة من المواهب ! إنك ...

صاحت "إيلين" لمضايقة نبرة "راد" لها :

- لست مضطرا لان تغرقني بمجاملاتك ! إذا اردت ان تنصرف الآن يمكنني ركوب سيارتي وانصرف .

دهش "راد" دون أن يتحرك سنتيمترا واحدا :

- كيف ؟ إنها المرة الأولى التي أراك فيها غاضبة . إنك - في العادة - هادئة جدا !

- ربما لا أكون سريعة الغضب مثل آل "رامزي" لكنني اطمئنك بانني أحس . مثل كل الناس !

- حقيقة ؟

لما لمعت عيناها واحمر خداها من الغضب ازدادت جمالا عن ذي قبل.

كان "راد" - طوال سنة مضت - يقاوم هاتين العينين الرقيقتين وحاول أن يعامل "إيلين" بنفس الرقة المتحفظة التي يعامل بها بنات "برادي" الأخريات عدا الأطفال - بالتأكيد - الذين لا يمكنه منع نفسه من التسامح معهم وهذا ما عقد الأمور .

مرت سنة حتى وصل إلى هذا الموقف : إنهما بمفردهما وجها لوجه وهذا من جراء خطئه .

لابد أن يعترف أن "إيلين" اثرت فيه منذ مقابلتهما الأولى . بالإضافة إلى مقابلتهما اليوم . لقد تلاشى هدوء "إيلين" الذي ساعد "راد" على كبت مشاعره وبدت المرأة في عينيه فجاة رقيقة وجذابة .

اقتربت "إيلين" من السيارة ومدت يدها لتفتح الباب . لم يبتعد "راد". أمسكها من ذراعيها .

همس بصوت أجش :

- هل ملاك الجمال هذا يشعر بنفس الأحاسيس مثل كل الناس. أريد أن أرى هذا .

خافت "إيلين" لما رات شفتي "راد" تقتربان من شفتيها . أحست

بموجة الحب تجتاحها . لقد كانت تحلم بمثل هذه اللحظة منذ سنة مضت ...

جذبها نحوه . أحست بضعفها بين يديه القويتين . اجتاحتها الذكريات المؤلمة لأنها كانت تعرف كيف يمكن أن يبدو الرجل فظا .

تذمرت حينما كادت شفتاهما أن يتلامسا :

- لا .

تخلى "راد" الساخط عن عناقه في الحال . تراجعت "إيلين" خطوة إلى الوراء . دق قلبها وكان فمها جافا . المرة الأخيرة التي أخذها فيها رجل بين ذراعيه ... لكنها حبست تصاعد الذكريات .

لقد جعلها عنف "شارلي راي" تكره كل الرجال إلى الأبد . لقد أتعبها هذا الاكتشاف جدا .

قال "راد" بدهشة :

- هل تخافين مني ؟

همست "إيلين" وهي تتراجع من جديد :

- يجدر بي أن أعود . الطفلتان ...

ألقى "راد" نظرة بداخل السيارة .

- إنهما بخير . "كورتني" نائمة دائما و"كاري" تلعب مع دميتها. هل ستفسرين لي ما حدث أو انه لابد علي أن أخمن ؟

تلعثمت "إيلين" :

- لا يوجد ما يستوجب التفسير .

عزمت في قرارة نفسها بانه لا يوجد ما يستوجب التفسير سواء له أو لأي شخص آخر . إن "شارون" بمفردها هي المطلعة على الموضوع وهذا يكفي .

سأل "راد" بنبرة ساخرة جعلتها تتماسك نفسها :

- سنة كاملة من الخيال ثم تتراجعين في آخر لحظة ؟

عقدت ذراعيها على صدرها وأرغمت نفسها على احتمال نظرات "راد".

– حسنا . هل يمكنني الرحيل الآن أو أنك مازلت ترغب في مواصلة ضحكك على حسابي ؟

– تعرفين جيدا أن المضايقة هي الرياضة المفضلة لدى آل "رامزي" .

– لاحظت ذلك . تقضون وقتكم في مضايقة بعضكم البعض عدا "سلاد" . إنني أتساءل كيف استطاع شاب لطيف العيش في مثل هذه الأسرة ؟ .

– لقد تغلبت عليه الأخلاق مؤخرا . تزوج الشاب اللطيف ببنت لطيفة منحدرة من أسرة لطيفة ونجح هذا الثنائي فيما فشل فيه آل "رامزي" السابقون : لقد أنجبا طفلة صغيرة ! حسنا لكن ليس هذا ما نتحدث عنه .

– تحدثنا عن خوفي وموقفي الساخر . هذا ما قلته . هل أنت مسرور ؟ أرغب الآن في العودة . أنتم يا آل "رامزي" قادرون على إطلاق سهامكم في غضون ساعات وليس أنا .

– هذا صحيح . آل "برادي" ضحايا يرثى لهن مع عيونهن الكبيرة والبريئة . هذا ليس بغريب علينا .. هل لاحظت أن أسرتي تعاملك بنفس العطف الباهت الذي تعامل به أمي الكلاب الضالة التي تعثر عليها ؟

لم تستطع "إيلين" أن تمنع نفسها من الضحك .

سألها بلهجة بدت غير مكترثة :

– هل ستحكي لصديقك الصغير عن المقدمات التي فعلتها معك؟

– صديقي الصغير ؟

– "تروي تيمون" . ابن محاميتك . وفقا لكلام "فانيسيا" فإنكما تخرجان معا في أغلب الأحيان .

– نحن صديقان . هذا كل ما في الأمر .

– هل قفزت إلى السقف عندما حاول تقبيلك أو أنه لا يوجد غيري أثر فيك هذا الأثر .

أدارت "إيلين" عينيها . إنها لا ترغب في الحديث عن "تروي تيمون"

مع أحد أفراد آل "رامزي" . إن آل "رامزي" لا يحبون "سيسي تيمون" محامية "إيلين" علاوة على أنهم يعرفون إلى أي نوع من الرجال ينتمي ابنها ...

قالت :

– هذه المحادثة تتعبني إلى اللقاء يا "راد" . إلى اللقاء غدا عند التوقيع .

– أتريدين أن أمر عليك لآخذك ؟

– أعتقدت أن هذا ضايقك .

– قلت هذا لأمزح معك .

– هذا صحيح . إنكم جميعا يا آل "رامزي" مازحون !

– كيف ؟ ملاك الرقة الذي يسخر ؟ لابد أنني أخطأت .

صاح صوت :

– "إيلين" !

استدارت "إيلين" و"راد" في نفس الوقت . وصلت "كولين" و"ميجين" و"تارا" وهن يجرين .

سألت "ميجين" :

– هل يمكننا العودة معك ؟

– بالتأكيد لكني اعتقدت أنه لابد أن تبقين حتى العشاء .

قالت "كولين" بتكشيرة :

– "ريكي" دعا أصدقاءه وفضلنا العودة .

سأل "راد" :

– لماذا ؟ إنني متأكد أنهم طلبوا منكن البقاء .

قالت "تارا" :

– لقد حدث بالفعل . لكننا فضلنا العودة .

استطردت "ميجين" :

– نحن مثل اللعبة القديمة في نظر "ريكي" . إنه محق . كنا سنفسد متعتهم وهذا هو ما قاله بالفعل .

تعجب "راد" .

- قال هذا ؟ لابد أن أحدثه .

تدخلت "إيلين" :

- ليس مهما . "ريكي" لديه الحق في دعوة أصدقائه .

قال "راد" :

- إنني أتساءل عما سيفعلونه .

أجابته "إيلين" :

- اللهو مع بعضهم بعضا . حسنا . لنعد الآن .

جلست أخواتها في السيارة حيث استقبلتهن "كاري بث" بفرحة.

"دعهن يذهبن" . هكذا حدث "راد" نفسه برغم أنه يرغب في توصيلهن إلى المنزل ويطلب من أخيه الاعتذار لهن ثم ... ثم ماذا ؟ كل هذا ليجد نفسه بمفرده مرة أخرى مع "إيلين" ؟

رآها وهي تلقي بنفسها على مقعد السائق .

كانت آل "برادي" مثل الرمل المتحرك . يجس الإنسان الأرض بحرص ثم يجد نفسه مبتلعا حتى عنقه . لكن "سلاد" كان لديه الخبرة بهن . لقد أرسله الوالد إلى "فيرجينيا" ليخدع آل "برادي"، لكن بدلا من أن ينتزع منهن أسهمهن في المركز التجاري عاد إلى "هوستون" مع كل العائلة ثم تزوج واحدة منهن ولابد الآن أن يدفع آل "رامزي" ثمنا باهظا لما كانوا يمتلكونه قبل ذلك !

لم يكن هناك غير ذلك و"راد" كان يعرف ذلك . إن "إيلين" تعتبر دنيئة مثله . إنها ستعرف كيف تقنع "تروي تيمون" بالزواج بها .

أما "راد" فإنه لن يتزوج أبداً .

خفضت "إيلين" زجاج السيارة .

قالت :

- سأستقل سيارتي غدا .

هز رأسه وابتعد دون أن يستدير .

# # #

كان مركز الإعانة عبارة عن مستودع قديم مقسم إلى حجرات حيث يتجمع ما يقرب من ثلاثين أسرة معوقة . إن "تروي" الذي يعمل هناك بشكل تطوعي كان قد حدث "إيلين" عن هذا المركز ومن ثم فقد أرادت أن تقدم مساعداتها .

لقد كانت "إيلين" فقيرة هي الأخرى حتى كانت وصية العمة "أوجستا" واغتنى آل "برادي" بين يوم وليلة وأصبح لديهم من سنة فقط مكان يعيشون فيه . إن أسر مركز الإعانة تعاني الفقر ولم تنعم بالحظ الذي سنح لآل "برادي" .

لقد فقد "الفقراء الجدد" كما تسميهم وسائل الإعلام كل شيء في أثناء ركود أزمة البترول . لقد فقدوا العمل والمنزل والحرية والمودة والآن يتكدسون في هذه الحجرات . ارتجفت "إيلين" لما كانت تفكر في هذا .

بعد سهرة عيد الشكر عادت "إيلين" وأخواتها من المركز في هدوء . لقد كان يتوافر - لحسن الحظ - طعام كثير . أضاف آل "برادي" إلى ذلك البالونات والمثلجات والحلوى التي تم تقديمها إلى اثنين وستين طفلا بالمركز .

كانت "إيلين" أول من كسر حاجز الصمت .

- لابد أن نفكر في عشاء عيد رأس السنة من الآن .

قالت "كولين" :

- لنقم حفلاً للأطفال ونحضر مجموعة كبيرة من اللعب !

أضافت "تارا" :

- لنعد أيضا هدايا للبالغين . الأمر محزن جدا إذا كان عيد رأس السنة بدون هدايا حتى بالنسبة لشخص بالغ . تذكري يا "إيلين" .

أومأت "إيلين" برأسها ثم ابتسمت .

- هل نسيتن أننا أصبحنا أغنياء بالقدر الكافي حتى نشتري الهدايا على حسابنا ؟ هذا مدهش ! سأخبر "شارون" بهذا فورا .

قالت "تارا" :

- لقد عادوا بالتأكيد من عشاء آل "رامزي" . إنني أتساءل عن الطريقة التي تتصرف بها "كاري بت" و"كورتني" وهما على مائدة الطعام .

صاحت "ميجين" :

- أمل أن تقلب "كورتني" طبق الحساء على فستان "فانيسيا" .

سألت "كولين" :

- أتعتقدين أن "راد" اعتنى حقيقة بالطفلتين طوال اليوم ؟

أجابتها "تارا" :

- بالتأكيد لا . لابد أنه و"چاد" مهتمان بصديقاتهما .

قالت "ميجين" :

- لا تنسي أنك تتحدثين عن خطيبك وخطيب "إيلين" ، على الأقل بالنسبة إلى السيد "رامزي" .

تعجبت "تارا" :

- يا إلهي ! إنني أفضل الجلاد على ابن من آل "رامزي" ! لقد تزوجت "شارون" الشخص الوحيد الرقيق بينهم .

التزمت "إيلين" الصمت . كانت أخواتها يجهلن مشاعرها نحو "راد" ولم تشأ أن تخبرهن بها . إنهن لن يفهمن على الرغم من رقتهن . ينبغي ألا يعرف أحد أنها تفكر فيه ليل نهار وتحلم بالقبلة التي رفضتها .

كان يلعب بها لكي يسلي وقته . لكنه لم يحاول رؤيتها مرة أخرى . كان واضحا أنه لا يهتم بها .

سألت "كولين" :

- ما هذه السيارة الواقفة أمام منزلك ؟

قالت "تارا" :

- إنها "أستون مارتين لاجوندا" . إنها أغلى سيارة في المدينة بعد سيارة "بنتلي" .

قالت "ميجين" :

- "راد" لديه سيارة "أستون مارتين لاجوندا" .

أحست "إيلين" بازدياد نبضات قلبها . تبعتها أخواتها إلى المنزل والدهشة تعتريهن .

صاح صوت قوي :

- هل سنلهو أم لا ؟

أجاب صوت "راد" :

- لا . في الحقيقة يا عزيزتي "جريون" .

أسرع بنات آل "برادي" إلى الصالون . جلس "راد" على الأريكة وكان مرتديا "بنطلون" "چينز" أزرق و"بلوفر" أسود ولوح بدمية غريبة تدير عينيها .

قال وهو جالس :

- أقدم إليكن "جريون" . هدية جدي "رامزي" لـ"كاري" . دمية كهربائية لا تكف عن مطالبتي بإذا كنا سنلهو أم لا . "كورتني" أن "كانت مدللة جدا وتلقت هدية عبارة عن دب يتكلم بنفس حيوية مذيع التليفزيون .

سألته "إيلين" :

- ماذا تفعل هنا ؟

لاحظ "راد" صوتها اللاهث . تفرسها بدهشة .

أجابها :

- أؤدي دور مربي الأطفال . أليس هذا ما طلبتموه مني ؟ أعدت الطفلتين منذ ساعة ونامتا من فرط تعبهما بمجرد أن وضعتهما على السرير .

- هل أنت الذي وضعتهما على السرير ؟

- لم يكن هذا صعبا . لقد ساعدتني "كاري" كثيرا حيث دلتني على مكان الأشياء وأقنعت "كورتني" بالنوم على السرير بعد ترتيبه .

تساءلت "ميجين" :

- ماذا فعلت مع صديقتك الصغيرة حينما كنت تعتني بالطفلتين؟

- تركتها لـ"چاد" . يا للمسكينة ! أحسست بالألم يعتصر قلبها وهي

تسمعهما تناديانى بـ"ابي" .

قالت "تارا" :

– اتقصد انك اعتنيت بالطفلتين طوال اليوم ؟ إنني نادمة على انني لم ار هذا .

أجاب "راد" وهو ينهض من على الاريكة :

– وانا ايضا . يبدو انني كنت مدهشا !

خطا عدة خطوات نحو "إيلين" وتفحصها من قدميها حتى شعر راسها .

سالها :

– وكيف تشعر وزيرة الرحمة بعد هذا اليوم المليء بالاعمال الحسنة.

الفصل الثالث

احست "إيلين" بان جسدها يضطرم تحت نظرات "راد" الملحة . تراجعت خطوة إلى الوراء .

اجابته :

– العشاء كان جيدا . شكرا . كما اننا كنا نجهز مشروعاتنا لعيد ميلاد راس السنة .

– خططن كما تشأن يا عزيزتي لكنكن ستقضين ليلة راس السنة مع الأسرة . إن مكان الأم بجانب طفلتيها . هذا قانون آل "رامزي" .

تقدم "راد" خطوة اخرى مختصرا المسافة التي ارادت "إيلين" إيجادها بينهما . اشتمت رائحة الديك الرومي وفطيرة القرع . غيرت هذه الرائحة من رائحة العطور الفواحة التي تستخدمها صديقاته والتي لا تحتاجها "إيلين" لإبراز جمالها .

ادرك في الحال انه ارتكب خطا جسيما بانه ثمل لرؤيتها بعد مرور خمسة عشر يوما من الحرمان . حاول في البداية ان يستبدل بها امراة اخرى حتى لا يفكر فيها . لكن لم تكن هناك اي امراة يمكن

مقارنتها بها ، ثم عكف على عمله لكن لم يجد هذا كله .

لما كانت مضطربة بسبب قرب "راد" فقد فقدت "إيلين" خيط الحوار تماما . لكن لابد ان تقول شيئا ! إن وجود اخواتها جعل هذه المقابلة الصامتة مثيرة للضيق .

سالت بصوت مخنوق :

- اتريد قدحا من القهوة ؟

اجابها "راد" بابتسامة :

- هذا يعتمد على توقيت تقديمه . هل تنوين تقديمه قبل رحيل اخواتك او بعد ذلك ؟

لقد فهم ان العرض ليس إلا ذريعة تتذرع بها .

قالت في نفسها "لابد حتما أن التزم بالهدوء" . احست "إيلين" في نفس اللحظة بيد "راد" على خصرها . اصبحت نظراته قاتمة وبدا انه يريد احتجازها .

قال بصوت ابح :

- كان يمكنك أن ترتدي شيئا عمليا يتناسب مع يوم الطبخ في كوخ مدخن.

يا إلهي ! كم كانت جميلة في هذا "الانسامبل" الاخضر ! يحفظ وشاح من نفس اللون شعرها المنسدل إلى الوراء .

قال مصرا وهو يحاول تخيلها مرتدية فستاناً لا شكل له :

- لماذا لم ترتد "فستانا" اقل جمالا ؟

ولكن هيهات . مهما كان لون الفستان فإنها ستبدو جميلة !

قالت "إيلين" :

- نرتدي مناشف على فساتيننا . لكنني ارتديت هكذا لانني ساذهب لتناول العشاء بمنزلكم .

تدخلت "تارا" :

- هذا يظهر للناس اننا نحترمهم .

اخذت عينا "راد" تنتقلان بينهن من واحدة إلى اخرى .

علق "راد" على ذلك قائلا :

- فكرة جيدة . لا يوجد غير آل "برادي" يتمتعن بهذه الرقة .

قالت "إيلين" :

- نحن ندرك معنى أن تكون فقيرا وتشكو وقاحة بعض المحسنين . اتخذنا عهدا على انفسنا بالا نقلدهم . هز "راد" رأسه دون أن يعرف ماذا يقول . لقد حيرته صراحة آل "برادي". يبدو انهن لا يخشين تذكر ذكرياتهن المؤلمة . إنهن يتحدثن عنها بهدوء ودون الإحساس بأي حزن. إنه هو نفسه لا يتصرف هكذا . إن القصة المفزعة التي دمرت زواجه وغيرت حياته وسعى إلى محوها ...

قالت "تارا" :

- "إيلين" . احب ان ابقى معك في هذه الليلة . لم ارك كثيرا منذ عودتي من الجامعة ... اتفقنا ؟

فكر "راد" في انها قالت ذلك عن عمد . لقد فهمت الموقف . سيسعد كثيرا لدى سماعه "إيلين" تنصح اختها بالانصراف .

قالت "إيلين" التي لم تكذب كثيرا :

- على الرحب والسعة .

حبس "راد" تنهيدة الإحساس بالإخفاق ثم استمع إلى صوت العقل . إن هذا افضل بالنسبة لـ"إيلين" وبالنسبة له ايضا . إنها ليست من نوعية النساء اللاتي يكتفين بمغامرة عاطفية عابرة فهذا كل ما يمكنه ان يعرضه عليها .

قالت "ميجين" :

- ساعد شوكولاتة ساخنة . اتريد منها يا "راد" ؟ لدينا بسكويت ايضا .

تعجل بالرد وهو يتجه نحو الباب :

- لا ، شكرا .

قال صوت ساخر بداخل رأسه : "يا عزيزي "رامزي" ، لقد قلت لك : إنك حليف غير جيد" .

لكي يفرض الصمت على هذا الصوت استدار "راد" نحو "إيلين":
سألها :
- هل ستصطحبينني حتى سيارتي ؟
ارتعدت "إيلين" فقد كان الاقتراح صريحا . عندما سيصبحان بمفردهما في الظلام فإنه سيقبلها . اليس هذا ما ترغبه ؟ لقد كانت دائما مندفعة لم تستطع ان تمنع نفسها من الموافقة .
قالت لـ "تارا" دون أن تجرؤ على النظر إليها :
- امامي دقيقة . اعدي لي قدحا من الشوكولاتة .
فكر "راد" وهو يمد يده إليها إنها وسيلة مثل اي وسيلة اخرى للانفراد بها .
استقبلهما الليل المعطر .
سأل "راد" :
- هل تطفل أخواتك الصغار سيرعانا من النافذة ؟
- آه ... لا اعتقد ، لكن ...
- صحيح إنهن ذهبن إلى عمل الشوكولاتة في المطبخ ! هل يغنين في نفس الوقت ؟
همست :
- لا تسخر منا ارجوك .
قال "راد" في قرارة نفسه "إذا كانت تحتد فقط وتقول له : اذهب إلى الجحيم فإنه لن يستمر في مضايقتها" .
كانت هاتان العينان البريئتان والوجه العابس لكن الجميل تقيده بالتأكيد اكثر من أي رد مؤلم .
قال :
- عفوا . لكنك هدف سهل المنال وجذاب جدا ... هذا اقوى مني .
- نحن مختلفان .
- هذا اقل ما يمكننا قوله .
وصلا إلى سيارته الرشيقة . استند "راد" إلى هيكل السيارة وجذب

"إيلين" نحوه واحاطها بين يديه بقوة .
قال :
- لا تتظاهري بالصدمة . كنت تعرفين تماما ما ستفعلينه لدى مصاحبتي إلى هنا .
قالت بصعوبة :
- يا لك من شخص فظ !
- لست فظا . إنني صريح . لم اكن هكذا قط . لكن معك أشعر بأني صريح . أمرني ضميري بهذا .
توترت "إيلين" بين يديه .
- اهدئي يا قلبي . إنها ليست إلا البداية . والآن كرري ما اقوله بعدي : لم اكن اعرف ان لديك ضميراً يا "راد" .
كانت نبرة صوته ثاقبة وهو يخفض رموش عينيه مثل المرأة التي تمثل ادوار الإغراء في السينما .
انفجرت "إيلين" في الضحك واسترخت بين ذراعيه .
همس قائلا :
- هل تعرفين انك مدهشة جدا ؟
احست "إيلين" بحواسها تستيقظ واحدة بعد الأخرى . إن الطريقة التي يمسكها بها بين ذراعيه وكلامه كان اكثر مما يلزم لفك السلاسل التي احتفظت بها سجينة فترة طويلة . إنها امرأة شابة ورقيقة .
- يمكنني أن اكون دميمة إذا فضلت هذا . هل تريد رأس قرد ؟ انظر!
قال وهو يلاحظها :
- هذا ظريف جدا . إنك تشبهين "كاري" و"كورتني" وهما يكشران .
- أمل الا يكونا قد قلدا القرد في تلك الليلة .
- لقد فعلا هذا في الحقيقة . انا الذي طلبت منهما ذلك . ونتيجة لذلك حاولت "كورتني" أن تبتلع موزة كاملة في فمها .
صاحت "إيلين" وهي خائفة :

- أوه ، لا . أمام كل الناس ؟

- لم يلمها أحد . أنا الذي ألقي اللوم عليه لأنني دفعتها إلى فعل هذه الحماقات . لكن العشاء في ليلة عيد الشكر لم يكن مملا وذلك بفضل الطفلتين !

- شكرا على أية حال لعنايتك بالطفلتين . غفرت لك قصة القرد والموزة .

صاح "راد" :

- مزاح ؟ منذ متى والقديسات يمزحن ؟

- لست قديسة .

- لا ! أثبتي لي إذن من أي البنات القبيحات أنت .

أظهرت نظراته روح التحدي التي تتجمل بها .

- لم أعد بنتا . إنني سيدة يا "راد" .

- أثبتي لي هذا !

قالت متذمرة عندما بدأ يقبل عنقها :

- "راد" ، أرجوك ...

همس بصوت أجش :

- إنك تجعلينني مجنونا .

قالت وهي قريبة منه :

- لا أعلم ما حدث لي .

اكتشفت وهي بين ذراعي "راد" أنوثتها . إنه لدى "راد" يختلط الحابل بالنابل : الرغبة والخوف والألم .

أجابها بصراحته المعهودة :

- غاية ما في الأمر أنك حصلت أخيرا على ما كنت ترغبينه .

- أليس هذا خطرا ؟

- بلى ، خطر جدا .

أمسك يدها وحملها إلى شفتيه ثم قبلها مما جعلها ترتعد من أخمصي قدميها حتى رأسها . يا لها من سعادة جديدة ! إنها في خطر

حقيقي .

همست "إيلين" :

- لم أشعر بمثل هذا الإحساس من قبل .

سعى "راد" إلى أن يمزح :

- أرأيت يا عزيزتي . لا تنسي أن لديك طفلتين .

لم تتكدر "إيلين" . لقد اكتشفت بفضل "راد" مشاعر جديدة لم تكن تعرفها ، على الرغم من أنها كانت متزوجة حتى أصبحت أما . لقد أصابتها تلك المشاعر الجديدة بالحيرة والاضطراب . لكنها لا تعرف سببها .

ربما تدين بجزء من الحقيقة إليه .

- اسمع . زواجي كان عاديا ولكنه يخلو مما تريده المرأة . شارلي... أساء إلي ... أساء إلي كثيرا .

لم تتمكن من مواصلة حديثها . تخلى عن عناقه لها وقد شعر بالسخط حينما علم بأن هناك رجلا قد عاملها بمنتهى القسوة والعنف.

تملك الخوف منه في الحال . إنهما يوشكان أن يبوحا بأدق أسرارهما لبعضهما البعض .

الرمال المتحركة ... لقد جذبته "إيلين" نحوها رغما عنه . لقد كاد أن يطمر جسده تحت الرمال المتحركة .. كاد أن يفلت سره منه .

نظر "راد" في عينيها مباشرة :

- هل كنت متزوجة حقا ؟ وصلت إلى "هوستون" مع طفلتين وأصبحت أرملة . لم تتحدثي أبدا عن زوجك . وكذلك أخواتك . إنك تحملين نفس لقب الأسرة الذي تحمله أخواتك . باختصار لقد سألت نفسي في أغلب الأحيان عما إذا كان هذا الزواج الوهمي قد تم في الحقيقة .

خلافا إلى ما كان يأمله لم تستشط "إيلين" غضبا .

أجابته :

- أعلم أنك طرحت هذا السؤال على نفسك . لكن لم أحب أنا أو أخواتي التحدث عن "شارلي راي تيلر" . عندما تزوجته كنت قد اجتزت المرحلة الثانوية وكان عمري وقتئذ ثمانية عشر عاما بالضبط . توسلت "شارون" إلي بألا أتزوجه لأنه جرحها ذات يوم . كانت أمي قد ماتت قبلها بعدة شهور وأحسسنا جميعا بالضياع . كان والدنا قد تركنا ونحن في مرحلة الطفولة .

توقفت عن مواصلة حديثها وأخذت نفسا عميقا ثم استطردت :

- رفضت الإنصات إلى "شارون" . كان "شارلي راي" طالبا بالجامعة . كان أول شاب يلتفت إلي . لم نكن - أنا وأخواتي - ننجح في جذب الشبان . لم تكن لدينا الموارد لكي نرتدي ملابس تتلاءم مع الموضة السائدة ولم نكن نخرج أبداً .

تذمر "راد" :

- يا لهم من حمقى ! بنت جميلة مثلك ليست في حاجة إلى أن تساير الموضة .

شعر بالحيرة لما رأى ابتسامة "إيلين" وابتعد عنها في هدوء .

- إذا كنت قد فهمت فإنك كنت صبية عندما تزوجت هذا الـ"شارلي" .

- علمت من أول ليلة لزفافنا مدى الخطأ الجسيم الذي ارتكبته . اكتشفت حينذاك وحشيته وساديته . أدركت السبب الذي دفع أسرته إلى إهماله وعدم رغبتها في سماع أي شيء عنه . هذا المجنون العنيف أفزعني حتى الموت ... توسلت "شارون" إلي بأن أتركه لكنني كنت قد أصبحت حاملا . بقيت معتقدة أن هذا أفضل وضع بالنسبة للمولود؟

- "كاري بت" ؟

- نعم . لقد زادت الأمور سوءا بعد ذلك . ترك "شارلي" دراسته ولم يعد يعمل إلا من وقت لآخر . كان يشرب . ضربني . لم أستطع أن أصدق أن هذا حدث لي ، لي أنا . بدا لي أنني أعيش في كابوس لا ينتهي . علمت متى بدأ لكنني لا أعلم متى سينتهي وإلام ينتهي مصيره ؟ ظللت أعيش مع "شارلي" حتى جاء اليوم الذي حاول فيه

ضرب "كاري بت" . تمكنت من منعه لكنه كان في حالة يرثى لها : فقد كان في أوج ثورة غضبه حتى إنه كسر ذراعي . لجأت إلى أخواتي في هذا اليوم وبدأت في إتمام إجراءات الطلاق .

لما كان دهشا من هذه القصة المؤلمة لم يستطع "راد" أن يمنع نفسه من أخذ المرأة بين ذراعيه .

قال وهو يداعب شعرها :

- هناك شيء واحد لم أفهمه : "كورتني" ؟ كيف أمكنك بحق السماء إنجاب طفلة أخرى من هذا البائس ؟

توترت "إيلين" .

- هذا ما لم أقله إلا لـ"شارون" . لا ينبغي أن تعلم طفلتاي أو أخواتي بالحقيقة . لكنني أعتقد أنه يمكنني الثقة بك فإنك لن تفعل أي شيء قد يجرح طفلتي . كما أنني أريد أن أخبرك بكل شيء .

لم تعلم "إيلين" لماذا يهتم بمسألة إنجاب ابنتها "كورتني" لكنها على أية حال قررت أن تحكي له كل الحقيقة . لكن لماذا ؟ هل شعرت بالارتياح نحوه حينما أخذها بين ذراعيه .

قال "راد" لنفسه : "انتبه ! لم يعد هناك أي شيء خطير" .

كان "راد" لا يعلم ما الذي دفعه إلى سؤالها عن ابنتها "كورتني" . كيف أنجبتها بعد شروعها في إتمام إجراءات الطلاق من هذا المخبول . لكنه - الآن - لا يريد أن يعرف ما حدث .

قال :

- اسمعي ...

- كلا . استمع أنت إلي : لقد تم الطلاق بيننا لكنه لم يرد أن يتركنا ننعم بحياتنا في هدوء . كان يسعى دائما إلى أن يشعرنا بالخوف والرعب : كان يركب دراجة بخارية ويحوم بها حول المنزل ويهددنا . كان يلقي بالأحجار على النوافذ واستل سلاحا وأطلق الرصاص في الهواء . استدعت عمتك "أوجستا" الشرطة أكثر من مرة . تم اعتقاله لكنه عاد بعدها بفترة وجيزة .

عندما كنت عائدة ذات يوم من موقف الاتوبيس انقض علي وانتزع "كاري بت" من بين ذراعي وتركها فجاة وسط الطريق واقتادني إلى بعيد .

ترقرقت الدموع في عينيها .

قال "راد" :

– "إيلين" ، لست مضطرة إلى ان تحكي لي كل هذا . هناك اشياء يفضل نسيانها .

– أعلم . ولن اتكلم عن هذا بعد ذلك ابداً . لكنني أردت أن تعرف انني لم أكن راضية .

– الخسيس ! لقد اغتصبك بقوة واصبحت حاملا في "كورتني".

– فكرت في البداية ان ... ان اجهض نفسي . ثم مات "شارلي" في حادث دراجة بخارية .

رفعت راسها وابتسمت بحزن .

– احسست بعدها بسكينة شديدة . لقد رحل اخيرا وإلى الابد . عرفت أنني لست ملاكا ولا شيطانا .

– وقررت الاحتفاظ بالمولود .

– فهمت أن المولود لا ذنب له سواء كان "شارلي" وحشا او غير ذلك .

قررت الفصل بين الاغتصاب والمولود وتمكنت من ذلك بالفعل . لقد أحببت "كورتني" ولم يسبب لي هذا اي مشكلة على الإطلاق . كنت قد اصبحت مطلقة لدى ميلادها ومن ثم فقد حملت لقب "برادي" وبعدها غيرت لقب "كاري بت" .

– ومن هنا اصبح آل "برادي" شديدي الشبه .

– هذا ما يقوله الجميع .

– وعندما حاولت تقبيلك منذ اسبوعين ؟

– كانت هذه المرة الأولى التي يحاول فيها رجل ان ياخذني بين ذراعيه ... منذ يوم الاغتصاب . كنت خائفة جدا يا "راد" .

– والآن اكثر على اية حال .

وضع يديه على كتفي "إيلين" وابعدها عنه .

– لابد من التوقف هنا يا "إيلين" . إذا دفعنا انفسنا إلى ما بعد ذلك فقد يحدث ما لا تحمد عقباه وهذا ينبغي الا يحدث على الإطلاق . لست نمط الرجل الذي يلزمك . الأمان والوفاء والزواج والاطفال، كل هذا من ضمن خططي . رجل ظريف مثل "تروي تيمون" سيفيدك اكثر .

– انا و"تروي" مجرد صديقين ولا شيء أكثر من ذلك . ليس هناك داع لان تتصور شيئا آخر .

– إنك تقولين هذا لانني شتتت افكارك الآن . لا ينبغي ان تفكري في يا "إيلين" فإنني لا احبك !

– إنك تمثل الكوميديا بشكل جيد إذن !

– اسمعيني ايتها الفتاة الصغيرة . لقد فعلت كل ما في وسعي لأحميك مني . إن سمعتي مشينة وأنا استحقها . ستعانين يا "إيلين" على الأقل من الناحية الروحية . لست الرجل الذي تظنينه ولن اكون ابداً . ارجعي إلى منزلك وانهبي لتناول الشوكولاتة ساخنة وتناولي البسكويت بصحبة اخواتك الصغار وكفي عن التفكير في .

– هذا ما حاولت فعله طوال هذه السنة لكن بلا جدوى .

– حاولي مرة أخرى ولا تنظري إلي بهذه الطريقة .

خفضت عينيها :

– ساعود . شكرا على رعايتك للطفلتين اليوم . شكرا لانك استمعت إلي . شكرا على تفاهمك .

قال "راد" في قرارة نفسه : "أيها الملاك المسكين . إنها تستحق اكثر من هذا الـ"شارلي راي تيلر" الاحمق ، وافضل من وغد مثلي".

– طابت ليلتك يا "راد" .

– الوداع يا "إيلين" .

نظر إليها وهي تبتعد ببطء . لما وصلت إلى عتبة باب المنزل استدارت وابتسمت له .

الفصل الرابع

في اليوم التالي لعيد الشكر حملت طائرة هليوكوبتر القديس "نيكولاس" إلى المركز التجاري لآل "رامزي" . تم إنزاله في الطابق الأسفل على أريكة حمراء وذهبية وسط ديكور سماوي يجتازه قطار قصير للأطفال .

بعد أحد عشر يوما ألبست "إيلين" طفلتيها فستانيهما من القطيفة الحمراء واصطحبتهما في زيارة إلى القديس "نيكولاس" . كان هناك طابور كبير من الأطفال يقف أمام العرش . بعد خمس دقائق من الانتظار أصبحت "كورتني" شعثة الشعر ومن ثم أخرجتها أختها من الطابور .

قالت "إيلين" لجارتها :

- أعتقد أن يوم الثلاثاء في الساعة الرابعة لن يكون هنا أناس كثيرون .

أضافت المرأة التي تجد صعوبة في الاحتفاظ بأطفالها بين يديها :

- هذا أيضا ما قلته لنفسي .

قالت "كورتني" وهي تشد "إيلين" من ساقها :

- هيا نذهب إلى القطار .

كررت "إيلين" للمرة العاشرة .

- سنذهب إلى القطار فور أن نتحدث مع القديس "نيكولاس" . سيلتقطون لك صورة ويمنحونك السكر .

صاحت "كورتني" :

- لنذهب إلى القطار الآن !

هذا ما كان يردده الولد الصغير والبنت الصغيرة اللذين يقفان أمام "إيلين" . كانت أمهما تشجعهما بابتسامة .

قالت "كورتني" فجأة وهي تجري :

- في القطار مع أبي .

أسرعت "إيلين" في أعقابها لكن خوفا من أن تترك "كاري بت" بمفردها عادت إليها .

قالت المرأة :

- اذهبي إليها . ساعتني بها وسأحجز لك مكانك .

ترددت "إيلين" نصف دقيقة .

قالت "كاري بت" :

- انظري يا أمي . عثرت "كورتني" على والدها العزيز .

دهشت "إيلين" لما رأت "راد رامزي" نفسه يتقدم نحوها من بين المتجمعين ممسكا "كورتني" بين ذراعيه .

قالت الجارة بصوت دهش :

- هذا هو والدها ؟

أجابتها "كاري بت" بعدما لم تستطع "إيلين" تصحيح الخطأ الذي وقعت فيه الجارة :

- إننا نناديه هكذا .

كان الوقت متأخرا على أية حال . إن "راد" موجود هنا وهو أنيق جدا كعادته .

إنهما لم يلتقيا منذ مساء ليلة عيد الشكر حينما طاردت الذكريات "إيلين" وحكت له عن قصة زواجها من "شارلي راي تيلر" وكيف أنها لم تشعر بأحاسيس المرأة المتزوجة لدى زواجها . لقد كان لديه الحق في أن يبتعد عنها ، هكذا أقرت "إيلين" في قرارة نفسها . عليها الآن أن تستدرك خطأها وتتخلى عن التظاهر بعدم الاكتراث حتى يصبح حقيقة .

قال "راد" :

- وجدت هذه الفتاة الصغيرة توشك أن تحتفل بالعيد بمفردها .

أحست "إيلين" بأن ثباتها مزعزع .

أصرت "كورتني" :

- في القطار مع أبي !

همست المرأة التي تقف أمام "إيلين" :

- "راد" ...

همس وهو يحدق بعينيه إليها ثم إلى الطفلتين اللتين تصطحبهما.

- "بيريل" ...

كان الجو العام ثقيلا دون أن تعرف "إيلين" السبب .

فسرت "بيريل" :

- استقر حمواي في "هوستون" . لقد أتينا من "لبوك" لزيارتهما.

ثم أضافت وهي تبتسم ابتسامة بسيطة :

- دهشت حماتي جدا لأنني أعلم مالكي هذا المركز التجاري . إنها ستجن لذلك .

قال "راد" دون أن يقطب حاجبيه :

- آه ، حسنا .

تدخلت "إيلين" لتكسر حاجز الصمت :

- عرضت "بيريل" أن تعتني بـ"كاري بث" حتى يمكنني الذهاب لأبحث عن "كورتني" .

لكن لم يكن هناك أي جدوى من حديثها الذي لم يشاركها فيه أحد من

الموجودين.

واصلت حديثها بشجاعة دون أن يكون النجاح حليفها :

- دهش كلانا من وجود كل هؤلاء في مثل هذه الساعة .

أصبح الجو العام ثقيلا جدا عندما طبعت "كورتني" قبلة رقيقة على خد "راد" :

سألته :

- إلى القطار الآن ؟

انفجرت "إيلين" و"بيريل" في الضحك .

قالت "بيريل" :

- من الواضح أنها عزيزة على والدها . ما اسم الاثنتين ؟

قال "راد" بكل ثقة :

- "كاري بث" و"كورتني آن" .

أكدت "بيريل" :

- إنهما رائعتان .

ثم أضافت وهي تبتسم إلى "إيلين" :

- إنهما يشبهانك كثيراً . لكن بهما شيء من "راد" .

لما احمرت من الخجل انتظرت "إيلين" إنكار "راد" لكن لم يحدث.

سأل "راد" "بيريل" :

- هل هما طفلاك ؟

- نعم . "فيكي" أربع سنوات "وبوبي" سنتان . أما الأكبر وهو "باري" فيبلغ من العمر سبع سنوات . لقد اصطحبه جداه وأبوه إلى السينما.

تفحص "راد" الطفلين دون أن يقول شيئا وأحست "إيلين" باضطرارها إلى مجاملتها :

قالت مؤكدة :

- "فيكي" و"بوبي" مدهشان .

شكرتها "بيريل" بحرارة ثم قالت :

- نسي "راد" أن يقدمنا إلى بعضنا البعض . أنا "بيريل جيفري" .

هزت "إيلين" راسها . لم يكن هذا الاسم له اي تاثير عليها .

هل هي عدو خاص لـ"راد" او لعائلة "رامزي" ؟

تدخل "راد" بجفاء :

– إنها تدعى "إيلين" .

تذمرت "كورتني" وهي تشير باصبعها إلى عربات القطار التي تسير ملتوية بين جموع الحاضرين .

– القطار ...

قال "راد" :

– نعم يا عزيزتي ، ستركبين القطار فورا . هيا يا "إيلين" .

اعترضت "إيلين" :

– لقد وعدتهما بمقابلة القديس "نيكولاس" .

– اه ، حسنا ، سيرونه لكن فيما بعد . هيا ، تعالي !

سالت "إيلين" الطفلتين :

– هل انتما موافقتان ؟

صفقت الاثنتان بصخب .

اصطحبهما "راد" دون أن ينظر إلى "بيريل" ودون أن يقول لها اي كلمة وداع .

قالت "إيلين" محاولة إخفاء فظاظة "راد" :

– إنني سعيدة جدا بمعرفتك . اتمنى لك إقامة طيبة في "هوستون" .

من فرط دهشتها الكبرى صافحتها "بيريل" بإحساس واضح ثم قالت:

– إنني سعيدة أن "راد" قابلك . إن رؤيتكما معا ومعكما الطفلتان انتزع عبئا ثقيلا من على قلبي .

لم تجرؤ "إيلين" على طرح اي سؤال . القت عليها تحية الوداع بسرعة وهرولت في أعقاب "راد" والطفلتين بعدما اختفى ثلاثتهم بين الحاضرين . لحقتهم عند موقف القطار . تفادى "راد" – بلا اي حياء – طابور الانتظار .

قال لبائع التذاكر :

– هاتان الآنستان تريدان القيام بجولة .

قال الرجل بكل احترام :

– بالتاكيد يا سيد "رامزي" . تعال من هنا .

لم يسمح لبقية الأطفال بركوب القطار إلا بعد أن أجلس "كاري بث" و"كورتني" .

لحق "راد" بـ"إيلين" وراء الحاجز الأبيض الصغير حيث يقف الوالدان لمراقبة طفلتيهما لدى مرور القطار في كل مرة . حملها موقفه الجاف على الا تساله عن "بيريل جيفري" .

سالها فجاة ونبرة الاتهام بادية في حديثه :

– هل كنت تعرفين انني آت ؟

– بالتاكيد لا ! وكيف لي أن أعرف ؟

– يحدث لنا أحيانا أن نقوم بزيارات مفاجئة إلى محلات المركز التجاري لكن بحجة أن نرى شخصا معينا .

– وهل تعتقد أن لدي من الحدس أن أصطحب الطفلتين إلى هنا بحجة رؤية القديس "نيكولاس" على أمل أن أراك ؟

لم تتمكن "إيلين" من منع نفسها من الضحك واحمر وجه "راد" .

قال متذمرا :

– يبدو هذا الافتراض مثيرا للسخرية لكنه غير محتمل ! لقد خدعت قبل ذلك من قبل نساء فاتنات .

– ربما ليس لديهن طفلتان في عمر الزهور وإلا إذا كنت قد ظننت انني استخدم طفلتي كذريعة .

قال "راد" في قرارة نفسه : "اي حماقة ارتكبتها" .

لم يعتد "راد" أن يسخر منه احد كما انه لم يكن يتوقع هذا من جانب "إيلين" الرقيقة والبريئة .

قالت "إيلين" :

– فضلا عن أن "كورتني" هي من رآك في البداية وليس أنا !

حبس "راد" ضحكته وحاول الا ينظر إليها . كانت جميلة جدا في هذا "الانساميل" الأخضر .

رد على تحية الصغيرتين عندما مرا امامهما ثم قال بفظاظة :

وضح كل شيء لكنني على اية حال لا انوي التحدث عن "بيريل چيفري" معك .

– حسنا .

– ماذا تعني كلمة حسنا ؟ هل هذا ما امكنك قوله ؟ اعلم انك تموتين من الرغبة لتساليني عنها ... ولماذا تركتها تعتقد انني وانت... ان الطفلتين....

رمقها بنظرة .

قالت "إيلين" كوعد تتخذه على نفسها :

– بما انك لا تنوي محادثتي عنها فإنني لن اسالك اي سؤال .

توقف القطار . ظل "راد" خلف الحاجز . عندما راى "إيلين" وطفلتيها ياتين ناحيته تملك منه إحساس رقيق .

قالت "كاري بت" :

– انا و"كورتني" نريد الذهاب إلى رؤية القديس "نيكولاس" الآن.

صرحت "كورتني" هي الأخرى برغبتها :

– إذن نركب القطار مرة اخرى .

لاحظت "إيلين" :

– إن مخ طفلة عمرها سنتان لا يعمل إلا في اتجاه واحد .

صاحت "كاري بت" :

– ومخ طفلة عمرها أربع سنوات يتجه في اربعة اتجاهات .

ثم اضافت وهي تمنح "راد" ابتسامة المتواطئ .

– هل سنلهو أم لا ؟

قهقه "راد" ورفعها بذراعيه .

– إنك ودميتك "جريون" لا تفترقان . والآن هيا بنا نرى القديس "نيكولاس" .

سارت "إيلين" وراءهما وهي تتمنى ان يكون والد طفلتيها .

هل تتمنى ايضا ان يصبح زوجها ؟

كان السؤال محيرا لكن دون إجابة محتملة على الفور .

لقد كان "راد" واضحا جدا بخصوص هذا الموضوع .

وضع "راد" البنتين مرة أخرى على اول طابور الانتظار واجلسهما على ركبتي القديس "نيكولاس" واعطى اوامره إلى المصور .

لما كانت خائفة من اللحية البيضاء سالت الدموع من عيني "كورتني".

صرخت :

– ابي !

بينما كان "راد" ياخذها بين ذراعيه لمح "بيريل" وسط الحاضرين وعيناها مركزتان عليه وعلى الطفلة التي يحملها بذراعيه .

قالت "إيلين" :

– إنها المرة الأولى التي تخشى فيها احدا .

تذمرت "كورتني" .

– "نيكولاس" الشرير ! هيا بنا من هنا !

اعترضت "كاري بت" :

– إنه ليس شريرا ! إنه هو الذي يجلب لنا الهدايا في ليلة راس السنة .

كررت "كورتني" :

– شرير ! شرير !

اقترحت "إيلين" لتهدئ بنتيها :

– هلا ذهبنا لتناول العشاء ؟

سالت "كاري بت" :

– مع بابا "راد" ؟

قالت "إيلين" :

– لا .

أجابها "راد":

– نعم أنا أيضا جائع . أحلم بشطيرتي هامبورجر .

قالت "إيلين" مازحة عندما توجه الأربعة نحو السلم الحلزوني :

– اعتقدت أنك تحلم أكثر بتركنا .

لم يجب عليها . إن ما يحلم به – بالفعل – هو أن يبقى بجانب "إيلين" وطفلتيها . لكنه لا يستطيع الاعتراف بذلك .

كانت الكافيتيريا مزدحمة وصاخبة . طلبت الطفلتان بطاطس مقلية ودجاجا مشويا الذي كان لابد على "إيلين" أن تقطعه .

أقام "راد" – المنهمك في أكل شطيرتي الهامبورجر – مناقشة حامية مع "كاري بت" بخصوص الرسومات المتحركة التي تفضلها. أما "كورتني" فقد كانت تضيف الملح إلى طعامها من وقت لآخر .

كان هناك أناس كثيرون ينتظرون رحيلهم .

دفع "راد" الحساب .

قالت "إيلين" :

– شكرا جزيلا . قولا شكرا .

أطاعت الطفلتان أمهما بحماس .

سأل "راد" :

– والآن ماذا سنفعل ؟

– سنعود . لقد حان وقت الحمام والاستماع إلى قصة ثم الذهاب إلى السرير .

تنهد "راد" :

– مبكرا هكذا ؟

إن احتمال قضاء السهرة بمفرده أزعجه . يمكنه بالتأكيد أن يجري اتصالا أو اتصالين ويعثر على بنت تخرج معه لكن هذا لا يعني له أي شيء .

قالت "إيلين" مفسرة :

– لقد اعتادتا النوم في السابعة والنصف وبما أنهما يحبان اللعب

في المغطس فإنهما سيأخذان بعض الوقت .

– وبمجرد أن يذهبا إلى السرير ماذا تفعلين ؟

– أقرأ أحيانا أو أشاهد التليفزيون أو أستقبل إحدى أخواتي . قال ساخرا :

– يا لها من حياة مضطربة ! و"تروي تيمون" ؟ في أي وقت يتدخل بها ؟

تظاهرت "إيلين" بأنها لم تسمع .

إن "تروي تيمون" كان شاذا . لقد اعترف لها بذلك في الليلة التي أوضحت له فيها أنها مولعة بـ"راد" .

ليس لها الحق في خيانة ثقة "تروي" بها .

أصر "راد" :

– لم تقولي شيئا ؟ هل هذا يعني أن هذا الشاب الذي لايصلح لشيء يوشك أن يكسب المباراة ؟

أجابته "إيلين" :

– "تروي تيمون" ليس كما قلت عنه . إنه أحد أصدقائي . هذا كل ما في الأمر .

– حسنا . حسنا ... أتريدين أن أصطحبك إلى منزلك ؟

– سآخذ سيارتي . إنها مصطفة بجانب مدخل المركز التجاري . إلى اللقاء يا "راد" وشكرا على العشاء .

– سأصطحبك حتى السيارة .

– لا !

دون أن ينصت إليها أخذ الطفلتين بين ذراعيه وابتعد بخطوات سريعة مجبرا إياها على الجري .

لما وصل إلى سيارة "إيلين" استدار أملا أن تعاتبه على فظاظته ثم تغضب . لكنها بدلا من أن تفعل ذلك ابتسمت .

وقف متحيرا حينما كانت تجلس الطفلتان في السيارة ثم جلست أمام عجلة القيادة .

الفصل الخامس

أثقل لعب الطفلتين في المغطس ثم قراءة إحدى الحكايات – ذهن "إيلين" حتى السابعة والنصف .

ثم اجتاحتها بعد ذلك موجة من الأفكار المحبطة .

كان من الواضح أن "راد" يحب "كاري بث" و"كورتني" بصدق لكن كان من الواضح أيضا أنه لم يعد مهتما بـ"إيلين" .

قالت لنفسها : "وهذا أسوأ" . إنها ليست ممن يشكون . إن آل "برادي" يتسمن بالشجاعة . لقد أتيحت لهن الفرصة لإثبات ذلك . لا ينبغي الاعتماد عليهن لكي تتباكى مثل بطلات الرواية .

جلست "إيلين" أمام التليفزيون وفي يدها كوب من المثلجات بالشوكولاتة .

دوى صوت الباب .

ظنت "إيلين" وهي تذهب لفتح الباب أن الطارق إحدى أخواتها .

تسمرت في مكانها لما رأت "راد" واقفا على عتبة الباب .

سألها بأدب غير معتاد :

- هل يمكنني الدخول؟ كان من المفترض أن أذهب إلى "سلاد" ثم ...

قالت وهي تتخذ جانبا لتجعله يمر:

- ادخل. أتريد ... بعض المثلجات؟

- ألديك شيء يهدئ الأعصاب؟

صاحت وهي تندفع نحو المطبخ:

- لدي عصير مفعوله قوي جدا. لقد تناولته أنا و"شارون" ووجدناه طيبا .

مدت يدها إليه بكوب لكنه رفض.

- اشربيه أنت. إنه مُسكر جدا ولا يتناسب مع زوجي.

- ولهذا أحبه. عندما تناولت العصير بمنزل والديك كنت أرغب في إضافة السكر إليه .

- تضيفين سكرا؟ غير معقول!

أحس أنه سيضحك من داخل أعماق نفسه.

- تبا لك يا "إيلين". يالك من مخادعة كبيرة ! مهما فعلت فإنك... هل تدركين أن كل شيء فرق بيننا؟

- هل أتيت إلى هنا لتقول لي هذا؟

- عندما يضايقني أحد فإنني أحتج ! وأحاول أن أكون فظا! لكنك لست كذلك . إنك تكتفين بالابتسامة دون أي شيء آخر .

- قليل من المضايقة ليس بالأمر السيء . ثم إنني لا أعرف الغضب. كنت – دائما – هادئة جدا وفقا لكلام أمي . إنها طبيعتي .

قال في قرارة نفسه : "وتتزوج رجلا وحشيا ! لابد أن هذا كان بمثابة النار بالنسبة لها" .

واصل "راد" حديثه :

- فعلت اليوم كل شيء لأضايقك . كنت فظا ومتكلفا وساخرا لكن بلا جدوى . لم تتصرفي مع ذلك كما توقعت ... كم كان هذا فظيعا بالنسبة لي ! لم أعتد أن تتصرف امرأة بهذا الشكل معي .

- أظن أنك اعتدت على خلاف ذلك .

أمسك الكوب الذي كان بيدها ووضعه على المنضدة .

– لقد كذبت عليك . لم أكن أنوي أبدأ الذهاب إلى "سلاد" . لقد تصرفت معك بعد الظهر كوغد حقيقي لكنك بقيت مسرورة وصبورا ومحبوبة . لقد حيرني سلوكك هذا تماماً .

– أكنت تفضل سياسة الذراع القوية ؟

– نعم على ما أعتقد .

دفعها نحو الأريكة بلا أي إدراك .

قال وهو يرغمها على الجلوس إلى جانبه :

– نعم ، أعتقد أنني أفضل سياسة الذراع القوية .

قالت معترفة :

– وأنا ليست لدي أدنى رغبة في مقاومتك يا "راد" .

قال في قرارة نفسه وهو متأثر بنظرات "إيلين" الرقيقة : "إنني وغد" .

تلعثم وهو يداعب شعرها :

– "إيلين" ، لدى مجيئي إلى هنا لم أكن أنوي أن ... أن ...

همست :

– أصدقك .

كان صوتها مرتعدا . وضعت يدها على جذع "راد" وأحست بأن قلبه ينبض بقوة مثل قلبها .

تذمر وهو يجذبها نحوه :

– تبا لك . إنه يدق أكثر من قلبي . "إيلين" يا عزيزتي ، افعلي أي شيء . ادفعيني !

– لست قادرة على ذلك .

حملتهما العاطفة في هذه اللحظة إلى نقطة اللاعودة .

قالت "إيلين" برقة :

– "راد" !

عندما سمع اسمه استعاد ذهنه وابتعد عنها برقة .

كان الحب باديا على وجه "إيلين" .

قال لنفسه وهو يقبض على معصميه : "لابد أن تهدأ" .

فتحت "إيلين" عينيها التي كانت قد أغمضتهما عندما جذبها إليه .

همست لتفسر تراجع "راد" :

– كل شيء سار بسرعة ... مازال الوقت مبكرا ...

تحدثت بعد ذلك بصوت أبح . أحس "راد" باضطرابه يزداد .

– لا ينبغي ذلك يا "إيلين" وخصوصا أنني قلت لك هذا من قبل . ليس ضروريا أن تنشأ مثل هذه العلاقة بيننا .

قالت وهي تقلد نبرة "راد" المتصنعة :

– أم بالفعل ! لديك طريقة عجيبة في تجنبها !

– هل أنت التي ستعلمني الدرس الأول ؟

– بتكرارك أن نوعية مثل هذه العلاقة محظورة علينا فإنك تجعل مني إنسانة صعبة المنال ولكن بالأحرى أن تحبني .

– وهذه حماقة !

قالت مفسرة :

– الرجال يحبون دائما مالا يمكنهم امتلاكه . هذا ما قد قالته لنا أمي .

اعتدل وأمسكها من خصرها ورمقها بنظراته .

– هذا غباء ! لابد أن ذهن أمك كان مضطربا لأن تدخل مثل هذا الهراء في رءوس بناتها ! أمل ألا تفعلي ذلك مع "كاري بث" و"كورتني" . إنه وقاحة .

صاحت وهي تنهض بدورها :

– الوقح هو أنت . لا تنس ذلك . ونحن بنات آل "برادي" طيبات وقد نكون ساذجات بعض الشيء . لكن هذا لا يمنعنا من رؤية الناس على حقيقتها .

كرر كلامها بشكل ساخر :

– الناس على حقيقتها ! يا له من غرور ! أينها الفتاة المسكينة...

توقف عن الكلام .

قال في نفسه : "ولهذا أود حمايتها من الرجال الآخرين . هؤلاء الوقحون الذين سيتركونها بعدما يتملكون منها ... مثلي تماما" ...

واصل حديثه معها :

- "إيلين" لن يجدي هذا بيننا . إنني أعرف نفسي تماما . أرجوك لا تفكري بي بعد ذلك كما قلت لك قبل ذلك . إن ما تحتاجينه بالفعل هو ولد طيب مثل ...

- "تروي تيمون" ؟ يا لك من عنيد مثل "كورتني" ! أمي قالت أيضا: هل الرجال ضروريون بالفعل ؟

صاح "راد" :

- ها هو شيء لم تقله أمي أبداً أمع زوج وأربعة أولاد تحت أمرها لم تطرح أمي مثل هذا السؤال أبداً .

- ليس هناك أحد يستطيع إعطاء أوامر إلى أي فرد في آل "رامزي" .

قهقه الاثنان بشدة في وقت واحد .

قال "راد" ملاحظا :

- ليست هناك وسيلة للنقاش معك .

استطرد في قرارة نفسه : "الحياة مع "إيلين" ستكون مدهشة... لم استعاد وعيه في الحال : لن يعيش مع "إيلين" أو أي امرأة أخرى . لقد اتخذ هذا القرار في اليوم الذي طلق فيه زوجته .

تذكر السبب الذي اقتاده إلى منزل "إيلين" .

- قلت لك بعد ظهر اليوم : إنني لا أود التحدث عن "بيريل" وكنت كريمة جدا بعدم إصرارك على معرفة ما بيني وبين "بيريل" . لكنني فكرت أنه لابد عليك أن تعرفي ... أقصد أن أقول لك : إن... "بيريل" وأنا كنا متزوجين . إنها زوجتي السابقة .

سألت "إيلين" التي أبدت هدوءاً لم تكن تنعم به في الحقيقة :

- هل كنت تحبها ؟

- بالقدر الذي أحببت فيه هذا الـ"شارلي" .

- يهيأ لي أنه كان يوجد شيء بينكما ...

- جروح . لم يتم الطلاق بالشكل الذي جعلت أسرتي تصدقه . اليوم كان المرة الأولى التي رأى فيها كل منا الآخر منذ عشر سنوات : كان هناك بعض الضيق الحتمي .

تذكرت "إيلين" النظرة الحادة التي ألقتها "بيريل" على "راد" عندما كان ممسكا "كورتني" بين ذراعيه .

أجابته :

- لم يبد عليها أنها حزينة بل على العكس بدت سعيدة مع زوجها وأطفالها وسرت كثيرا لرؤيتك . قد أسست أسرة على حسب ما اعتقدت حينما رأتك معي أنا و"كورتني" و"كاري بت" . آه ... الآن . لقد فهمت .

سألها "راد" متحيرا :

- فهمت ماذا ؟

أجابته "إيلين" في التو :

- فهمت السبب الذي جعلك لم ترد عليها حينما سألت إذا كانت البنتان طفلتيك أم لا ولكنك تجاهلت سؤالها ولم تكذب ما قالته . بل آثرت الصمت . آه يا "راد" ... يبدو أن روح التنافس الشديدة التي يتمتع بها آل "رامزي" قد وضحت لديك بقوة في هذه اللحظة .

تردد قليلا ثم قال :

- ربما ...

استطردت بعد لحظة .

- ... والآن هل تسعين إلى معرفة فشل زواجنا ؟

أجابته في الحال :

- فقط إذا كنت ترغب في أن تتحدث عنه فإنني أنا الأخرى ارتكبت خطأ . لقد قابلت حظا سيئا في حياتي الزوجية كما تعرف وعانيت أهوالا كثيرة . لم تفدني تجارب الآخرين كثيرا .

حبس الفضول الشديد "راد" وراء حاجز الصمت . كانت أسرته تلاحقه دائما بطرح الأسئلة عليه باستمرار لكن دون أن تنجح في

مسعاها . لكن "إيلين" كانت مختلفة عنهم . إنها لم تصر على معرفة سبب انفصاله عن "بيريل" إلا إذا رغب هو في إخبارها بنفسه .

قال "راد" مبتدئا حديثه :

- كانت هناك علاقة بيننا انا و"بيريل" . كنا شابين متحمسين جدا واحمقين تماما وعندما اخبرتني انها تريد ان تتزوج وافقت على الفور. كان الزواج الأول في عائلة "رامزي" احمق بدرجة كبيرة لم تشهد "هوستون" مثيلا له قط !

قالت "إيلين" في قرارة نفسها : "ما الفارق بين زواجها من "شارلي" وزواجه من "بيريل" ؟! لقد وصل الاثنان إلى النهاية المحتومة وهي الفشل الذريع" .

واصل "راد" حديثه :

- كنت انا و"بيريل" متشابهين جدا . كنت انا اكبر اخواتي في آل "رامزي" ونفس الحالة تنطبق عليها . ولم اعرف انا وهي معنى العطاء. يا له من غباء ! عندما توقف كل منا عن حب الآخر كان من أجل تنافسنا والعكس بالعكس اي كنا نتناقس فيما بيننا .

- وبمر كل منكما الآخر بالتبادل .

ضحك "راد" ضحكة مريرة .

- هذا ما حدث بالفعل .

ظل يفكر لحظة . لم يكن واضحا حقيقة في اي شيء يفكر . إن هذا الرجل قد يبدو غامضا بالفعل . إنه لا يكشف عما في نفسه إلا إذا أراد هو ذلك .

ادركت "إيلين" انه لم يقل كل الحقيقة .

هناك شيء ما يقف في حلقه . شيء ما مؤلم . هذا الشيء هو الذي حطم حياته الزوجية مع "بيريل" وجعله منذ ان تم الطلاق لا يفكر في الارتباط باي امراة بشكل جاد . هذا الشيء الذي جعله بعد ظهر اليوم باردا ومكروها حينما قابل "بيريل" .

لم تعرف "إيلين" إذا ما كان سيكشف لها عن هذا الشيء ام لا . إن

لديه سرا لم يفصح عنه بعد .

إنه سر لا يحتمل مثل سر "تروي" ومثل سرها ومثل سر بعض الناس ...

لقد عامل "بيريل" زوجته السابقة ببرود واضح عليه حتى إنه لم يلق عليها التحية عندما انصرف هو والطفلتان . لكن إذا كانت هي في مثل موقفه فهل كان سيمكنها ان تحيي "شارلي راي تيلر" بشكل ودي بعد عشر سنوات من الانفصال إذا كان لا يزال حيا ؟

احست المراة في هذه اللحظة بالحيرة . إنها لا تعرف كيف كانت ستتصرف لو كانت في مثل موقفه فإن شخصية اي فتاة من آل "برادي" تختلف عن شخصية اي فرد في آل "رامزي" .

بدا واضحا ان "راد" يفضل السكوت . لابد انه متاثر بما حدث . لابد ان الجرح الخفي مازال يؤلمه كثيرا على الرغم من انه لا يبدو عليه .

نهض فجاة ثم توجه نحو باب الدخول .

قالت ملاحظة في اثناء وقوفها هي الأخرى :

- يمكن ان اقول : إن المتهم يفر من مكان جريمته . لكنني اعلم انك لم تقل كل شيء .

احس "راد" بالغضب يجتاحه .

اجابها وعيناه تلمعان من الغضب .

- كان خطا فظيعا . نسيت أنني أعرف الخدع التي تستخدمها النساء للإيقاع بالرجل ! لقد جربت هذه الرقة من قبل . يمكنك نسيانها وتجاهلها !

دهشت "إيلين" من عنف هجومه . لابد أن أي امراة اخرى مثل "بيريل" بالتاكيد تعرف كيف تجيبه .

همست وهي تفتح الباب :

- طابت ليلتك يا "راد" .

خرج الرجل دون أن ينطق باية كلمة حتى ولو كلمة وداع .

لكن بمجرد أن وصل إلى منتصف الممشى لم يستطع أن يمنع نفسه

من أن يستدير إليها . لقد أدهشه الجمال الحزين لـ"إيلين" الواقفة على عتبة منزلها بقوة وأحس أن روحه خائنة .

كان يحتاج إلى مسافة الرجوع إلى منزله حتى يسترد روحه . وفقا لكلام والده فإن أي فرد في آل "رامزي" مقتنع دائما بأنه محق ومن ثم فإنه لابد أن يتجاهل الضيق الراجع إلى أحاسيس الذنب . لكن "راد" شط إلى بعيد وعلى نحو آخر على الرغم من الجهود التي بذلها للتحكم في نفسه .

استشاط غضبا . باللنساء الملعونات ! هل هن ضروريات حقا ؟

إنها على أية حال ليست كذلك بالنسبة له ! إنه لا يحتاج إلى أحد . إنه حر وعازم على أن يبقى هكذا .

الفصل السادس

تعجب "تروي تيمون" وهو يلقي الجريدة على طبق "إيلين" :

- لم يمكني تصديق أن أمي استطاعت أن تلعب علي هذه اللعبة القذرة .

كان الاثنان يوشكان أن يتناولا العشاء في شقة "تروي" الذي كان ساخطا فلقد سجلت أمه من تلقاء نفسها اسمه مثل "السهم" الذي يباع في مزايدة للأشياء غير المتأكد من جودتها . سيذهب خمسون من الفتيات العزاب ليقضين السهرة مع من سيدفع أفضل ثمن . ستوزع المبالغ المحصلة هكذا على مختلف الأعمال الخيرية.

قالت "إيلين" - التي تستمع لهذه القصة - ملاحظة :

- وكل تذاكر الدخول قد بيعت وهذا يعني أنه سيتواجد - على الأقل - أكثر من ستمائة امرأة مما يزيد من ثمنها ! كنت أفضل عدم الذهاب إلى هناك لكن "نولا" اشترت بنفسها تذكرتي وعوضت "كولين" و"ميجين" مسبقا عن جلوسهما مع الطفلتين .

تمتم "تروي" :

– يا لها من بشاعة ! أخبرتني أمي أن "جوي بليقنز" و"فانيسيا رامزي" كانتا تتنافسان من قبل على استمالة قلبي .

– "فانيسيا" !

– خرجنا مرات عديدة معا منذ سنتين . لابد أنني الرجل الوحيد الذي قاومتها وهي تطاردني . إنها روح التنافس لدى آل "رامزي" . إنها لم تطق بالتأكيد أن أخرج معك كثيرا .

– آل "رامزي" لا يرفضون أي تحد .

– إنهم مستعدون لأي شيء من أجل أن يربحوا . "إيلين" لا تتركيني أسقط ! عديني بأن تزايدي علي .

ربتت "إيلين" يده :

– اعتمد علي . إنني معك حتى النهاية .

دخلت "كاري بث" و"كورتني" إلى الحجرة وهما تصرخان :

– حاول القط إمساك سمكة !

أسرعت "إيلين" و"تروي" إلى الحجرة المجاورة تنقذان الأسماك الاستوائية المدهشة من بين مخالب "سوشي" ، ذلك القط الذي يمتلكه "تروي" .

صاح :

– برافو أيتها الطفلتان ! أنقذتما الأسماك !

تذمرت "كورتني" :

– هل سنلهو أم لا ؟

مال "تروي" عليها ورفع ذقنها .

– ماذا يعني هذا ؟!

قالت "كاري بث" مفسرة :

– هذا ما تقوله دميتي . إن بابا "راد" هو الذي يجعلها تضحك وليس أنت .

– آه ، عفوا ! لم أكن أعلم أنها مزاح . لم أكن أعلم أيضا أن الأطفال الصغار قادرون على إلقاء مثل هذه النكتة .

عادت الصغيرتان بالقرب من حوض الماء .

واصل "تروي" حديثه خافضا صوته :

– بخصوص والدهما "راد" فإنه هو وأخوه "جاد" مسجلان كسهمين وليس هناك داع – تبعا لكلام أمي – أن أتوسل إليهما .

– هذا ما قاله لي "سلاد" .

– ربما كنت تفضلين المزايدة على "راد" ؟

صاحت "إيلين" التي لم تنس ملاحظات "راد" المؤلمة في الأسبوع الماضي :

– لا !

سادت فترة صمت بين الاثنين .

قالت "إيلين" وقد بدت مترددة :

– "تروي" ... ألا يمكنك ... أن تعالج الشذوذ الذي تعانيه ؟

خفض "تروي" عينيه وكأنه يبدي الندم والحسرة .

– ليس الأمر هينا يا "إيلين" . ربما تموت أمي إذا عرفت حقيقة مرضي هذا .

صاحت "إيلين" وقد بدا عليها التأثر :

– إنني متأسفة جدا من أجلك يا "تروي" . إنني أتمنى مساعدتك بأي طريقة .

ساد الصمت مرة أخرى بينهما ثم استطردت "إيلين" :

– "تروي" ، هل يسعدك حقا أن تشدني إلى أماكن حيث يمكن أن يرانا الجميع معا ؟ هل تفضل أن تبتعد عن هذه الرذيلة ؟ إلى متى سيمكنك رفض فتيات الأرض بأسرها ؟ لن تكف أمك عن مطاردتك من أجل أن تتزوج . في المرة الأخيرة التي رأيتها فيها كررت على مسامعي كثيرا أننا – أنا وأنت – نكون ثنائيا مدهشا.

فكر "تروي" لحظة ثم قال متلعثما :

– ربما ... ربما ...

أجابته "إيلين" وقد بدا الفضول عليها :

- ربما ماذا يا "تروي" ؟

- ربما امكننا ان نقيم خطوبة وهمية حتى نقنعها ولن امنعك من رؤية "راد" .

اعتدلت في مكانها ونظرت في عيني "تروي" .

- لقد قررت عدم التفكير في "راد" يا "تروي" .

اجابها :

- كفي ... كفي . لا تحاولي خداعي يا "إيلين" .

ردت عليه في الحال :

- ما قلته لك صحيح يا "تروي" . إنه ليس من نمط الرجال الذي يستهويني . هذا الوقت مناسب تماما لأن اتخلص من هذه المشاعر الغبية الطفولية !

- إنها فكرة طيبة . كنت اقول دائما : إنك رائعة في مواجهة اي شخص من ال "رامزي" ! هيا ، لن نضيع وقتنا في التحدث عن "راد" . من الأحرى أن تساعديني في الإعداد للسهرة التي لابد ان امنحها للتي سيكون لها شرف الخروج معي . فكري في شيء تكرهه "ڤانيسيا" ويجعلها تنقض - مباشرة - على السذج الآخرين.

اقترحت "إيلين" بمكر :

- ما رايك في مباراة "البولينج" ؟

صاح "تروي" وهو فرح جدا :

- فكرة مدهشة . ڤانيسيا" في ملعب "البولينج" ! إنها ستختنق من الرعب بالتاكيد .

* * *

صاحت "ڤانيسيا رامزي" وهي تركب سيارة "إيلين" .

- إنك فاتنة . اللون الوردي يناسبك تماما . سيسقط كل الرجال تحت قدميك لدى رؤيتك .

تمتمت "إيلين" التي شعرت بالحيرة من هذه المجاملات :

- شكرا ، إنك ايضا جميلة جدا .

كانت "ڤانيسيا" مرتدية فستانا اسود مثيراً .

اما شعرها فكان معقودا في ضفيرة وقد وضعت المساحيق على وجهها وظهرت في ابهى صورة لها . واما "إيلين" فكانت تبدو إلى جانبها مع فستانها الوردي مثل الصبية .

كانت "ڤانيسيا" قد اتصلت بها قبل يومين لتطلب منها اصطحابها إلى هذا الحفل ولما كانت "إيلين" دهشة لم تجرؤ "إيلين" على الرفض .

تحدثت الاثنتان في أثناء ذهابهما عن مشروعات "ڤانيسيا" في موسم التزلج على الجليد .

وصلا إلى الفندق الذي ستعقد فيه حفلة المزايدة . سارت السيارات بمحاذاة الرصيف ببطء ولم تتوقف إلا لنقل المشتركين امام الباب الرئيسي .

تعجبت "ڤانيسيا" :

- كيف ؟ لا يوجد خادم يركن السيارات ؟ يا لها من فضيحة !

قالت "إيلين" :

- موقف السيارات خلف الفندق وهناك ممر مغطى بين الاثنين إنها مجرد نزهة بسيطة .

- "إيلين" كنت متاكدة أنك ستقولين هذا ! إنك بسيطة للغاية ومطيعة مثل بقية اخواتك ! شكرا على اية حال يا عزيزتي . نزهة طيبة !

قبل ان تتمكن "إيلين" من قول اية كلمة مالت "ڤانيسيا" عليها وطبعت على خدها قبلة ثم قفزت خارج السيارة .

لم تستطع "إيلين" أن تمنع نفسها من الضحك .

لابد أن "ڤانيسيا" علمت انه لن يوجد احد يقوم بمهمة ركن السيارات ومن ثم ذهبت للبحث عن سائق ساذج إلى حد ما لتخدعه . لكونها بنتا طيبة وخدوما فإن "إيلين برادي" ستقوم بركن سيارتها بنفسها .

كان يلزمها ما يقرب من نصف ساعة لكي تركن سيارتها في موقف السيارات المزدحم ثم العودة إلى الفندق . كان حفل المزايدة قد بدأ في

الصالة الكبيرة .

صاحت "نولا رامزي" وهي تسرع نحوها :

– "إيلين" يا عزيزتي ، ها قد وصلت مؤخرا ! كنت بدأت أفقد الأمل في مجيئك .

بدت المرأة المسكينة قلقة وهذا لم يكن معتادا من امرأة تنتمي إلى آل "رامزي" .

– ماذا حدث يا "نولا" ؟ هل تبحثين عن "فانيسيا" ؟

قالت :

– لقد زايدت على "تروي" وربحت . كان أول شخص . أعرف بالتأكيد أنه ولد ساحر وأنه بشوش . عندما أعلن أنه اقترح مباراة "بولينج" صرخنا من الضحك . لكني كنت أفضل ألا تختاره "فانيسيا" فهناك نزاعات شديدة بيننا وبين أمه .

قالت "إيلين" في نفسها وهي تبحث عنه بعينيها بين الموجودين : أيها المسكين "تروي" . لكن يدهشني كثيرا أن "فانيسيا" تكتفي بمباراة "بولينج" .

همست "نولا" :

– "إيلين" إنني قلقة .

– لا تخشي شيئا فإن قصة "البولينج" مجرد نكتة .

– إنه "راد" الذي يقلقني . لقد قرر أن يقترح ... شيئا مخيفا ... شيئا وحشيا ! إهانة حقيقية لكل هؤلاء الفتيات الساحرات !

توقفت "نولا" وقد شعرت بحمرة الخجل والارتباك . كانت "إيلين" تنتظر وهي متضايقة جدا .

– "إيلين" . بما أن لديك أطفالاً فإنك تعرفين ما نحسه عندما يفعلون شيئا يشعرنا بالخزي . بالتأكيد مازالت طفلتاك صغيرتين أما أولادي فقد كبروا ...

سألت "إيلين" بقلق :

– وماذا سيفعل "راد" ؟

– إنه ينوي أن يصعد على المنصة ويعلن بهدوء أن التي ... التي... التي ستكسب لابد أن تأخذ حماما معه . في مغطسه ! بمنزله !

انفجرت "إيلين" في الضحك . إن آل "رامزي" يبدون في كامل لياقتهم الليلة حتما !

تذمرت "نولا" .

– هذا ليس غريبا على الإطلاق . إنه فظ ومهين ! مهين لي ولكل فتاة اتسمت بالسخاء لشرائها تذكرة دخول . إنها حفلة خيرية من أجل مساعدة المحتاجين .

قالت "إيلين" بلهجة هادئة :

– الأمر ليس خطيرا كما تتصورين يا "نولا" . الجميع يعلم أنه مزاح. لن يشعر أحد بالإهانة .

لم تستمع "نولا" إليها .

– لا يكفي فقط أن أعلم أن ابني يتصرف مثل المراهقين لكنني عرفت أيضا أن هناك مؤامرة تدبر له حتى يفقد مكانته أمام وجهاء "هوستون" !

كررت "إيلين" بدهشة :

– مؤامرة ؟

فتحت "نولا" حقيبتها وأخرجت منها ورقة .

– اقرئي بنفسك .

قرأت "إيلين" : قاطعوا "راد رامزي" ! اتحدوا أمام أحد أوغاد "هوستون" .

قالت "نولا" وهي تمسح عينيها بمنديلها :

– إنني خائفة جدا يا "إيلين" . بعد قراءة هذه الرسالة الشنيعة وسماع "راد" وهو يعلن عن مشروعه في هذه السهرة فلن تزايد عليه أية فتاة . سيظل ابني واقفا هنا عاقدا ذراعيه دون أن يتلقى أي عرض!... يا للعار !

– "نولا" ، "راد" فعل ذلك عن عمد . الأمر عادي بالنسبة له حتى لا

ترفع إحداهن أصبعها وتشير عليه . سيضحك مثل المجنون وهذا كل ما في الأمر .

انتحبت "نولا" بشدة .

– لكن الأمر لن يكون كذلك بالنسبة لي . إنني أخشى يا "إيلين" أن أكون أماً سيئة .

لما رأتها على هذه الحالة أخذتها "إيلين" بين ذراعيها .

– بالتأكيد هذا غير صحيح يا "نولا" . لننتظر فلا تبكي ! سترين أن الأمور ستسير على خير ما يرام .

– يا عزيزتي كم أنت رقيقة ولطيفة ! إنه أنت إذن ستنهين هذه المقاطعة الشنيعة وتزايدين على "راد" .

– أنا ؟

– ليبارك الله اليوم الذي دخل فيه آل "برادي" إلى حياتي ! "شارون" تزوجت ابني "سلاد" وأنجبا لي طفلة لذيذة ! وأنت الآن يا عزيزتي "إيلين" ستنقذينا أنا و"راد" من هذه المصيبة . كيف يمكنني أن أشكرك ؟

اقتربت "نولا" من "إيلين" بشدة .

اعترضت "إيلين" :

– "نولا" ، "راد" سيغضب إذا زايدت عليه .

كانت آخر كلمات "راد" تطارد ذهنها : "لقد جربت هذه الرقة من قبل . يمكنك نسيانها وتجاهلها" ! كما أنها لا تريد أن تتذكر النظرة الشرسة التي رمقها بها .

قالت مصرة :

– من الواضح أنه لا يود أن يسمع أي كلام عني . أعلم أنه يندم على معرفتي .

– إنه مجرد سوء تفاهم يا عزيزتي . إن آل "رامزي" كلهم مسرورن بمعرفة آل "برادي" ! إنه دور "راد" . هيا بنا نذهب للأمام !

صعد "راد" بعد عدة دقائق على المنصة . بخلاف المرشحين الآخرين الذين كانوا يتنافسون من ناحية الأناقة كان "راد" مرتديا "بلوفر" أسود

وبنطلون جينز قديما وحذاء .

قال مفسرا بلا اكتراث :

– لم أهتم كثيرا بملبسي لأنني لا أريد أن أضيع وقتا في خلعها . لم يضحك أي شخص . خيم صمت مميت على أرجاء الصالة .

قالت "إيلين" في قرارة نفسها "إنهن سيقاطعنه حقا" .

كان التوتر الذي ساد كل جنبات الصالة ملموسا . لقد نجح "راد" بفضل تحديه الوقح في أن يجعل كل هذه الفتيات متضامنات .

همست "نولا" وهي تضغط على يد "إيلين" :

– أعتمد عليك يا عزيزتي . سأتركك الآن . لابد أن أذهب لأرى ما إذا كانت الأمور تسير على ما يرام عند باب الدخول .

اندست "نولا" بين الموجودين حينما كان المثمن يعلن عن فتح باب المزايدة .

ساد صمت تام .

جال "راد" – وابتسامة ساخرة تعلو شفتيه – من وجه إلى آخر . كان من الواضح أن الصمت المستمر لا يزعجه .

فكرت "إيلين" : "لكن هذه المسكينة "نولا" لابد أنها مضطربة . إنها اعتمدت علي "لابد أن أفعل ما طلبته مني ... نعم ، لكن ما المبلغ الذي لابد أن أدفعه" ؟

أصر المثمن :

– هيا أيتها السيدات . قلن أي رقم ! عرض واحد ثم ننتقل إلى المرشح التالي . وهو طبيب صيدلي يبلغ طوله مترا وثمانين سنتيمترا وصاحب مركب سياحي و"شاليه" في الجبل .

تعالت صيحات الإعجاب والتصفيق . لكن عندما أعاد المثمن العرض على "راد" مرة أخرى خيم الصمت من جديد .

قالت "إيلين" لنفسها : "إنه الآن ولن يكون بعد ذلك" .

قالت بصوت مرتعد :

– أود تقديم عرض .

على الرغم من النظرات الساخطة المصوبة عليها أجبرت نفسها على

رفع يدها .

اقترحت :

- اه ... خمسة دولارات ؟

كرر المثمن بدهشة :

- خمسة دولارات ؟

صاح أحد الجالسين :

- هذا كل ما يساويه ؟

صاح غيره :

- بل إنه مدفوع فيه أكثر مما يلزم !

هز الضحك الصاخب الصالة كلها .

عجل المثمن بتنزيل مطرقته :

- خمسة دولارات ! مبيع إلى المرأة ذات الفستان الوردي !

بدأ الحاضرون يصيحون في "إيلين" . صعدت نحو المنصة وسط الصرخات العدوانية .

تذمر "راد" وهو يصعد المنصة :

- الصغيرة "إيلين" هي التي جرت لنجدتي . ما الذي دفعك إلى ذلك ؟

- إنها أمك التي طلبت مني ذلك . إنها كانت تبكي .

- أسلحة أمي فعالة دائما . إنها تلجأ إليها بمحض إرادتها لكي تنفذ مطالبها وهانت خير مثال على ذلك .

- إنها ليست خدعة . إنها مرتبكة حقيقة . ولابد عليك أن تخجل لأنك جعلتها تبكي !

وصلا إلى باب الخروج ثم بدأ "راد" يضحك .

- "إيلين" ألم تفهمي بعد ؟ لقد لعب آل "رامزي" جيدا في هذه الليلة . تحدثت مع "فانيسيا" قبل أن تأتي . كانت تعرف أن "تيمون" لابد أن يكون المتسابق الأول وتدبرت أمرها حتى تصلي أنت متأخرة . ثم تأتي أمي بعد ذلك وتقنعك بالمزايدة علي أمام الطبقة العليا في "هوستون" . لن تغفر لك هذه السيدات لأنك كسبتني .

أجابته "إيلين" :

- على أية حال لا أنتمي إلى طبقة عليا أو سفلى .

- هل الأمر عادي لك بأن تكوني منبوذة ؟

قالت "إيلين" في قرارة نفسها : "لو كانت "نولا" أو "فانيسيا" في مكاني لكانتا أشعلتا النار ووضعتا رأسه في الموقد .

قالت :

- إنني دائما منبوذة وقد اعتدت ذلك .

صعد الطبيب الصيدلي الذي كان الجميع ينتظره بفارغ الصبر .

صاحت امرأة :

- مائة دولار !

ارتجفت "إيلين" .

- مائة دولار ؟ لم أكن أعرف أن المزايدة يمكن أن تكون عالية .

قال "راد" :

- بالنسبة لـ"تيمون" فإن "فانيسيا" وصلت حتى مائة وخمسين . لم ينخفض أي عرض قبل عرضك عن سبعين دولارا . كان هذا العرض خاصا بموظف في شركة مواكب الدفن .

- إذا كنت أعرف كنت عرضت نفس ما عرضه دفان الموتى .

لم تستطع "إيلين" منع نفسها من الضحك وكذلك "راد" .

- "إيلين" . لا أعلم ماذا أصنع بك ... لم يكن يهمني أية امرأة أخرى قد تثور أعصابها لأنها أصبحت منبوذة . لكن هذا ... أضحكك !

- بالتأكيد لا أقبل أن يلاحقني الآخرون بصياحهم . جميع السيدات ساخطات لأن "راد رامزي" فلت من فخهن . لكنني لا أشعر بأنني مستهدفة لشخصي .

- أيتها المسكينة "إيلين" إنك لطيفة حقا ... ربما أكثر من ...

- ها .. ها . ها هي مجاملة من فرد من عائلة "رامزي" ! إنني غير نادمة على الدولارات الخمسة التي دفعتها .

- لكن إذا وفيت بعهدي فإنني سأجعلك تتناولين الشراب وأغطسك

في مغطسي ؟

– إنني لا افكر إلا في سهرة "ڤانيسيا" !

قال في نفسه : "لابد ان انصرف . لقد وعدت نفسي بالا ابقى في اي مكان تتواجد فيه . سواء في مزايدة او غير ذلك "...

لكن كان لـ"إيلين" السبق :

– حسنا . لقد فعلت الآن ما طلبته مني "نولا" . لابد ان اعود إلى منزلي في التو . عمت مساء يا "راد" .

امسكها من ذراعها . صمت لحظة :

قال بعد تردد :

– انتظري دقيقة ... والسهرة ؟ لقد دفعت من اجل الحصول عليها .

اجابته "إيلين" :

– لست مدينا إلي باي شيء .

ثم اضافت بنبرة ما لتثير ضيقه :

– كما انني اعلم انك لا تحب ان يراك احد بصحبة امراة منبوذة.

على الرغم من انه كان يعرف انها تسعى لمضايقته إلا انه انفجر فيها قائلا :

– إن معاملتك كامراة منبوذة امر خارج نطاق المناقشة ! ساخبر "ڤانيسيا" انك زايدت بناء على امر من امي حتى تتم البيعة بمنتهى البساطة . يمكنها ان تضيف ايضا انك حاولت ان تصغري من شاني بتقديمك الدولارات الخمسة . ساطلب منها ان تحكي لكل صديقاتها ما حدث .

– لن تفعل "ڤانيسيا" هذا ابدا .

– "ڤانيسيا" ستفعل ما يطلبه منها اخوها الاكبر ! خصوصا انها مدينة لك بهذا بعد ان خطفت صديقك الصغير !

– كل هذا لا يهمني حقيقة يا "راد" . إنني لا ارغب إلا شيئا واحدا وهو نسيان كل ما حدث والعودة إلى منزلي .

تملك من يدها :

– اتفقنا ، سننسى كل شيء . لكنك ستخرجين معي .

قالت محذرة :

– لست انوي تناول الشراب او آخذ حماما بمنزلك .

قال بابتسامة غريبة جعلت قلب "إيلين" ينتفض .

– الا تعرفين ما تفتقرين إليه ... هل هناك مكان معين ترغبين الذهاب إليه ؟

– نعم ، لكن ربما لا يعجبك . "تروي" قال إنه يوجد به ما لا يتوافق مع العصر ولم يرد الذهاب إليه .

– منذ متى وقد اصبح لـ"تروي" سلطة على هذا المكان ؟ اخبريني باسم هذا المكان وساصطحبك إليه !

– "چيليز" . هل فهمت ما اقصده ؟ هذه الحانة الليلية التي رايتها في فيلم مثل "جون ترافولتا" حيث امتطى ثورا آليا .

– متاسف يا ملاكي لكن "تيمون" كان محقا . منذ ان تم تصوير هذا الفيلم فإن هذه الحانة اصبحت فخا حقيقيا للسائحين . لا ترغبين بالتاكيد الذهاب إليه حتى لا يتم حبسك بداخله .

– إنه انت الذي لا ترغب الذهاب إليه . إن الخروج مع امراة لا تنتمي إلى طبقة اجتماعية عالية إلى جانب الذهاب إلى فخ للسائحين فهذا ليس بالامر السهل ان تطلبه من احد افراد عائلة "رامزي" !

– اه ، حسنا . إنك عنيدة لكنك رقيقة ! هيا بنا . لنذهب إلى هناك مادمت ترغبين هذا .

الفصل السابع

دخل الاثنان إلى هذا المشرب الفسيح الذي يشبه جراج الطائرات المزدحم .

تذمر "راد" الذي لم يفلح في إفساد متعة "إيلين" :

– لا يوجد هنا غير الفلاحين .

جلسا إلى مائدة في أحد الجوانب ونظرا إلى من يشربون ويرقصون .

كان الشجعان يواجهون الثور الآلي الشهير . تمسك أحدهم به مدة زمن قياسي ونال تصفيقا حادا على نجاحه .

قالت "إيلين" :

– هذا الرجل بالتأكيد معتاد على المجيء هنا . أرى أنه يوجد هنا لون محلي قديم .

تفحص "راد" ساعته بإصرار :

– هل أنت سعيدة باللون المحلي ؟ أنا نعم . لقد سعدت أكثر مما ينبغي .

– إنه مسل ولكنني في المرة القادمة سأرتدي بنطلون جينز .

– إنك أنيقة جدا . امرأة مبتذلة مثيرة في حفل شعبي . تأثير ذلك مدهش .

– إنك تستمتع إذن . لكنك لا تود الاعتراف بذلك .

قال بعد أن رآها تشرب الكأس الثالثة .

– هيا بنا نرقص . ليته يمكنك الوقوف .

ابتسمت وتمسكت به حينما جذبها نحو حلبة الرقص .

– لم أفقد وعيي تماما من الشراب . كنت أرغب دائما في المجيء إلى هنا وهأنا أتيت إلى هنا .

احتفظ في البداية بمسافة بينهما لكنه جذبها نحوه بعد ذلك .

تركته يفعل ذلك وأغمضت عينيها . كان صوت الموسيقى يشغل بالهما عن التفكير في أي شيء . لقد وضعهما في حالة لا يحس بها غيرهما .

ظلا متعانقين فترة طويلة غير مدركين ما يدور حولهما من صخب الحاضرين والضجة التي يثيرونها من حولهما .

لقد توالى إيقاع الموسيقى السريع ثم البطيء دون أن يشعرا بذلك . لقد بدا أنهما سبحا نحو منطقة الاقتراب منها محظور إلا للمحبين فقط .

لكن فجأة أعلن عن الرقصة الأخيرة .

ارتجف "راد" لقد أحس بأن رأسه يلف دون أن يشرب . لم يكن يدري ماذا حدث له وما سبب هذه الحالة التي يوجد عليها . هل هذا بسبب اقترابه من "إيلين" التي يأخذها بين ذراعيه أم ماذا بالضبط ؟ إنه هو نفسه لا يدري ما حدث له .

قال بصوت أجش :

– هيا بنا نخرج من هنا .

امتثلت "إيلين" لما قاله في صمت تام .

عادا إلى مائدتهما وأخذا حقيبة وصدرية الصوف الخاصتين

بـ"إيلين" وتوجها نحو باب الخروج .

فوجئا ببرد الليل .

قال :

– كان يجدر بك أن ترتدي معطفا . هذا الثوب الخفيف جدا لا يناسب جو منتصف شهر ديسمبر .

قال محدثا نفسه : "هانا قد بدات في التحدث مثل أمي" !

– لا أشعر بالبرد .

– ساصطحبك حتى منزلك .

تركت له عجلة القيادة . حاول "راد" أن يركز انتباهه في القيادة حتى يطرد ذكرى الساعتين الأخيرتين . لكن بلا جدوى . كان كل شيء في "إيلين" ... لا !

همس :

– إنني أتساءل مع من قضى "چاد" سهرته .

– آمل أن تكون بنتا رقيقة وأتمنى كذلك أن يكونا قد استمتعا بسهرتهما مثلنا .

– سهرة جهنمية . نعم ! ساعود بك إلى منزلك وأنجو بنفسي .

تساءلت وهي تضع يدها على ذراع "راد" :

– لماذا ؟

– أتفضلين الذهاب إلى منزلي ؟ كدت تفقدين وعيك بسبب الشراب الذي تناولته ولا يسعني إلا صب الماء على رأسك .

– إنها الخبرة ...

قال في نفسه : "إنها حمقاء" .

ألقى نظرة سريعة على "إيلين" . إنها جميلة ... جميلة جدا !

حدث نفسه مرة أخرى : "تبالك يا "إيلين" إنك فاتنة" .

ثم اصطدم بنظرات دلالها .

هداه قدر البراءة الذي يراه في عينيها . هذا هو الفخ إذن . كيف يستمتع بمغامرة عاطفية . غير مكتوب لها الاستمرار حتى ولو يوما

واحداً بينما تنظر "إيلين" إليه بمثل هذه البراءة ؟

ركن السيارة أمام منزل "إيلين" ورآها نائمة . تأملها لحظة قبل أن يخرج من السيارة .

فتحت "إيلين" عينيها عندما حملها "راد" بين ذراعيه . تركته يفعل ذلك وهي سعيدة ومتواطئة . فتح الباب وتردد على عتبته .

قالت له بعينيها "نعم" .

دخل وأغلق الباب وراءه ثم اجتاز الصالون وألقى نظرة سريعة على حجرة "كاري بث" و"كورتني" كانتا نائمتين إحداهما على السرير والأخرى على الأريكة وكانت هناك لمبة صغيرة تشع ضوءها الرقيق .

الحجرة التالية كانت حجرة "ميجين" و"كولين" اللتين جاءتا لمرافقة الطفلتين .

كان هناك بعد مسافة بسيطة باب غير مفتوح تماما .

قالت "إيلين" :

– إنها حجرتي .

دخل "راد" ودفع الباب بقدمه . رفعت "إيلين" رأسها نحوه ونظرت إليه نظرات كلها هيام وعشق . أنزلها "راد" ووقفت أمامه . لما كانت متأثرة بوقوفه إلى جانبها خارت قواها .

قالت متلعثمة :

– أحبك .

كانت كلمتها تتلألأ من تلقاء نفسها . لقد اتخذت هي المبادرة واعترفت له بحبها .

لما كان دهشا من اعترافها له ابتعد "راد" عنها .

– "إيلين" . ما الذي يدفعك إلى قول ما قلته ؟

نظرت إليه دون أن تفهم شيئا . إنها لا تدري هل اعترفت له بحبها لما أحست به بعد هذه السهرة أم لأنه اصطحبها إلى منزلها؟ لم تكن تدري بالضبط إن كان "راد" لا يفهم حقيقة الدافع لاعترافها له أم أنه يتظاهر بعدم الفهم .

قال مصرا :

- إنه ابتزاز .

قالت بدهشة :

- ابتزاز ؟ لكنني لم أطالبك بشيء ! أردت ببساطة أن أعبر عما اشعر به .

قال متذمرا وهو يضع يديه على كتفيه بغرض أن يبعدها :

- "إيلين" ...

لكنه أحس بأن جسدها ينتفض تحت تأثير يديه .

صاح فيها قائلا :

- أرجوك اصفعيني ! كفي عن أن تكوني لطيفة ومتفاهمة جدا!

سألته بنبرة تنم عن إحباطها :

- هل ترغب في مشهد مثل المشهد الذي كان مع "بيريل" ؟ لست قادرة على هذا يا "راد" . حقيقة غير قادرة عليه وانا متاسفة .

- أوه أيتها الحمقاء !

جذبها نحوه من جديد .

- إنني لا أطلب منك أن تقلدي "بيريل" أو أي شخص أخر . إنني مجنون بك على حالتك هذه ... إنني لا أريد هذه النوعية من المشاعر . لا أريدها حتى لو كانت تساوي كل شيء في الدنيا .

همست وهي متاثرة جدا لأنها أحست أنه بدا يخفف من حدة تعامله معها :

- "راد" أيها المسكين .

رد عليها وقد بدا عليه التأثر من كلامها .

- آه ، نعم أنا مسكين ! عندما أفكر فيما قد دبرته ... إنها المرة الأولى التي تتغلب علي فيها الهواجس . إنني لا أعرف نفسي الآن . لقد انهار كل شيء .

قالت متلعثمة :

- هل ... هل تحبني حقا ؟

بدا "راد" متحيرا ومترددا . لم يعرف بماذا يجيبها . هل يقول نعم أم لا ؟ إنه هو الذي اتخذ قرارا بعدم الارتباط باي امراة بعد فشل زواجه الأول .

أجابها أخيرا :

- إن طفلتيك وأخواتك الصغار موجودات في الجانب الآخر من الدهليز . ما تفكرين فيه غير ممكن . ستذهبين للنوم الآن بمفردك.

ربما نكون في المرة القادمة بمفردنا وسيتاح لنا مزيد من الوقت... تصبحين على خير يا "إيلين" .

أراد أن يقبل جبهتها مثلما تقبل الأم ابنتها الصغيرة عندما يحين موعد نومها لكنه عدل عن رايه .

- على العموم شكرا لك يا "راد" .

- تشكرينني على أي شيء ؟

- لكونك صبورا .

حدق فيها قائلا :

- ألم تقرئي الرسالة التي انتشرت هذه الليلة في حفل المزايدة بالفندق ؟ إنني واحد من أوغاد "هوستون" وإنني أشعر بالفخر لكوني هكذا .

قالت وهي تقترب منه بشدة :

- ولم لا ؟

- "إيلين" إنك أمكر امراة عرفتها من جميع النساء اللاتي تعرفت عليهن . إنك لا تناقشين ولا تطلبين أي شيء ودائما لا ترفضين بل موافقة على الفور وأرى على شفتيك أجمل ابتسامة ... ونتيجة لذلك صنعت بي ما تريدينه .

ردت عليه بمكر :

- إننا منسجمان ومتفقان إذن . أنا وأنت .

انفجر "راد" في الضحك :

- إلى السرير الآن يا "إيلين" .

أبعد ذراعيها عنه وخرج من الحجرة .

قالت له :

- ساخذ حماما أولا . هل يمكنك إغلاق الباب بالمزلاج بعد رحيلك ؟

- بالتاكيد .

أسرع نحو الباب محاولا الا يفكر فيها وهي في المغطس أو ...

صاح حينما وجد "كاري بت" في الدهليز :

رفعت نحوه وجهها الصغير المتلالئ من الدموع .

قالت منتحبة :

- أريد أمي .

- إنها توشك أن تاخذ حماما . ماذا يمكنني أن افعله من أجلك؟

- لقد رأيت كابوسا . أريد أن أنام مع أمي ...

رفعها "راد" بذراعيه :

- أي حلم ؟

- وحش !

زاد نحيبها .

- أي وحش ؟ احكي لي .

- دراجة بخارية كبيرة . دراجة بخارية فظيعة انقضت علي ...

القت راسها على كتف "راد" .

تذكر "راد" : "دراجة بخارية . دراجة "تيلر" البخارية . اليوم الذي هجم فيه على "إيلين" .

على الرغم من حداثة سنها كانت الطفلة لاتزال تحتفظ في عقلها الباطن بصورة مخيفة .

أكد "راد" لها :

- "كاري" ، لن تعود هذه الدراجة البخارية مرة أخرى . أعدك بانني لن أدع أي شيء أو أي شخص يؤذيك . هل تصدقينني ؟

تفرسته "كاري بت" دون أن تنطق باية كلمة . كان "راد" يشعر بالحزن في هذه اللحظة لانه يفتقر إلى خبرة التعامل مع الأطفال . ماذا يمكنه

أن يقول أيضا ليطمئن الطفلة ؟

واصل حديثه :

- هل تعلمين أنني أكل أو أشرب اي شيء عندما لا أتمكن من النوم في منتصف الليل . ما رأيك فيما قلته ؟

لقد قال "راد" بالفعل ما كان يلزم قوله . فور الانتهاء من حديثه اعتدلت الطفلة الصغيرة واضيء وجهها .

صاحت قائلة :

- جاتوه وعصير فاكهة .

اجابها "راد" وهو يبتسم :

- يا لها من فكرة مدهشة !

حملها إلى المطبخ واضاء النور .

وهو يجلسها على كرسي :

- يمكنك أن تخبريني أين توجد احتياجات هذا المنزل .

تحت توجيهات "كاري بت" أعد "راد" صينية تحتوي على جاتوه وعصير فاكهة وبسكويت .

اقترحت الطفلة وهي سعيدة بهذه التجهيزات :

- هل نشغل التليفزيون ؟

- لا يوجد برامج للأطفال في هذه الساعة .

- يمكننا أن نضع شريطا في الفيديو ليعرض لنا قصة .

أسرعت نحو الصالون وفتشت الدولاب ثم عادت وهي تلوح بالشريط .

- ها هو الشريط !

قرأ "راد" على العلبة حيث يتواجد طائر أصفر ضخم :

- الطائر العجيب .

ثم قال موجها حديثه إلى الطفلة :

- من الأحرى أن نسمي هذا الطائر بالطائر الغريب . هل أنت متاكدة أنه لن يجعلك ترين أحلاما أخرى ؟

- آه . كلا ! إنه صديقي . هل سنشاهد الشريط معا ؟ أرجوك؟

دست يدها الصغيرة في يد "راد" ورفعت نحوه وجهها الباسم .

أحس "راد" بعطف ورقة شديدين نحو الطفلة في هذه اللحظة .

إنه غريب حقا ! هذا الرجل شعر منذ أول مرة رأى فيها طفلتي "إيلين" بالعطف والرقة تجاههما على الرغم من أنه يبدو قاسيا .

كان غريبا حقا أن تسعد زوجته السابقة "بيريل" حينما رأته مع هاتين الطفلتين وظنتهما طفلتيه والأمر الغريب حقا هو أنه لم يعطها أي توضيح وجعلها تعتقد أنهما طفلتاه .

جلس "راد" بجانب "كاري بث" على الأريكة التي تضع الصينية على ركبتيها . إنها لم تعد تشعر بأية رغبة في النوم . لقد غطى صوتها المرح على صوت التليفزيون . كان "راد" يشاركها مرحها وسعادتها ، لكنه فجأة شعر بالضيق من هذه السعادة غير المتوقعة.

هل سيصبح أبا ؟ لقد أخبروه ذات يوم أنه لن يصبح أبا .

لقد شعر بالهم والكرب كعادته دائما عندما تذكر هذا اليوم المفجع . كانت تلك هي نفس اللحظة التي اختارتها "كاري بث" لتصعد على ركبتيه وهي تمسك كوب عصير الفاكهة في يد وقطعة الجاتوه في اليد الأخرى . لابد أن يتجنب هذا بسرعة ويتلاشى الألم.

لكنه تذكر مع ذلك هذا المشهد وكأنه حدث بالأمس . تذكر الحوائط البيضاء للعيادة والبرودة التي تسيطر عليها والصوت القوي للطبيب وهو يخبر "بيريل" بأنها قادرة تماما على إنجاب أطفال ، وشعر في نفس الوقت بالطبيب وهو يتجه نحوه ببطء وقد كان هو ذلك الشاب الفخور جدا برجولته حتى ذلك الوقت ... يا له من هول !

- لقد دوت كلمات التقرير الطبي في أذنيه بشكل مخيف . لقد ماتت آمال "راد" ! ماتت آمال "بيريل" التي أعلنت مرارا وتكرارا أنها تريد إنجاب أطفال كثيرين ! ماتت آمال عائلة "رامزي" كلها : الأب والأم

والإخوة وأخته . لقد كانوا يحسبون الشهور بنفاد صبر منذ زواج الابن الأكبر .

يا لها من صدمة ! تذكر "راد" أيضاموجة الألم والغضب التي ثارت بداخله . إنه تذكر أيضا نظرات "بيريل" التي ألقتها عليه فجأة . لقد انهارت حياتهما وتحطم زواجهما . لقد أدركا هذا بالفعل في اللحظة التي قرأ فيها الطبيب نتيجة تحاليلهما .

تعدد الشجار وكثر بينهما . لم يستطع أحد منهما أن يتقبل هذا المصير بسهولة وما آلت إليه حياتهما .

عرف "راد" في أواخر أيام حياتهما الزوجية أن "بيريل" تخونه لكن الأمر بدا له عاديا مادام خان نفسه بنفسه .

أخذ "راد" من "بيريل" وعدا لدى انفصالهما بألا تكشف نتيجة التحاليل الطبية إلى أي شخص ومازالت "بيريل" حتى الآن محافظة على وعدها .

ينبغي ألا يعلم أحد بالحقيقة . لا والده الذي اعتبره غير موفق . ولا "جاد" أو "ڤانيسيا" أو "ريكي" لن يتوانوا عن السخرية منه . ولا أمه التي تحاول تارة أن تواسيه وتارة أخرى تبدي تذمرها على إخفاقه .

إن "سلاد" فقط هو الوحيد القادر على التصرف بمهارة وحنكة.

لكن "راد" لم يستطع أن يبوح له بسره . لقد نجح "سلاد" فيما فشل فيه "راد" : لقد أنجب طفلة من "شارون" . هذا غير محتمل ولا يطاق !

منذ ميلاد الطفلة و"سلاد" يعتبر بطلا في عيون آل "رامزي" . إنه مقتنع تماما بأنهم لن يغفروا له عجزه .

ومن ثم أخذ يسيء إلى صورته كرجل عازب قاسي القلب وبناء عليه تجنب أي علاقة جادة . لقد علمته الحياة أن "الحب" بالنسبة للمرأة يعني "الزواج" و"الزواج" بدوره يعني "أطفالا". إن النساء لا يستمتعن بحياتهن إلا مع وجود أطفال .

لا . إنه لم يعد يحتمل أن يرى نزاعات متكررة ومشابهة لما كانت تحدث مع "بيريل" في اثناء حياتهما الزوجية . إنه لن يترك اي امراة تنتظر منه ما لن يستطيع أن يمنحها إياه .

لقد اشتهر في "هوستون" بانه محطم القلوب . إنه لن يتورع في إخبار النساء اللاتي تقابلنه بان مغامرتهما العاطفية معا لن تستغرق وقتا طويلا . إذا كان هناك ضحايا لهذه المغامرات فإن النساء هن اللاتي ينطبق عليهن ذلك بالتاكيد .

- بدا لي انني سمعت التليفزيون ...

اخرجه صوت "إيلين" من افكاره الكئيبة .

كانت واقفة على عتبة الباب مرتدية الروب وقد جحظت عيناها من فرط دهشتها .

صاحت "كاري بت" بحماس :

- أمي ! تعالي وشاهدي الطائر الغريب معنا !

تعجبت "إيلين" .

- هل انا احلم او ماذا بالضبط ؟ هل تعلمين انها الرابعة صباحا ؟

لما كانت خائفة أن تامرها أمها بالذهاب إلى النوم ادارت "كاري بت" ذقن "راد" نحو شاشة التليفزيون :

- انظر ! لقد انقذ الطائر نفسه !

قال "راد" المبتهج بسبب سعادة الطفلة :

- هيا إذن ! ها قد وصلنا إلى منتصف الفيلم . لم اعلم ما إذا كنت ساتحمل هذا .

قالت "كاري بت" :

- لا تقلق . إنه ممتع للغاية .

عبرت "إيلين" الغرفة وجلست بجانب "راد" . مرر ذراعه - دون أن ينطق باية كلمة - حول خصرها وشعر براس المرأة يميل على كتفه .

صاحت "كاري بت" :

- الآن لدي أب وأم مثل الطفلة الصغيرة المولودة . إذا أردت يمكنك أن تصبح والد "كورتني" أيضا .

داعب "راد" شعر المراة . تنهدت "إيلين" وتجنبت الرد على ابنتها .

قال "راد" مفكرا في قرارة نفسه : "السكوت علامة الرضا . لكن ماذا اقول" ؟

لقد بدا صوت التليفزيون واضحا . قاوم "راد" النوم بكل قوته .

\# \# \#

- ماذا تلعبون انتم الثلاثة ؟

استيقظ ثلاثتهم - "راد" و "إيلين" و"كاري بت" - فزعا . تامل "سلاد" الفرحان شكل أخيه و "إيلين" المنهارين على الأريكة و"كاري بت" ممدة بجانبهما .

دخلت "شارون" بدورها إلى الحجرة وهي ممسكة الطفلة الرضيعة بين ذراعيها .

قال "سلاد" مفسرا :

- لقد احضرنا معنا "الكرواسان" .

في هذه اللحظة ظهرت "ميجين" و"كولين" و"كورتني" .

قالت "كولين" وهي تشير إلى الثلاثي المسترخي على الأريكة :

- لقد وجدتهم على هذا الحال في الصباح والتليفزيون مفتوح !

قفزت "كاري بت" على قدميها وجرت نحو "سلاد" .

- هل ستعطيني "كرواسان" ؟ إنني جائعة جدا !

صاحت "كورتني" :

- انا ايضا ! انا ايضا !

قالت "ميجين" :

- أعطيني إياه لأضعه في طبق . لقد صنعنا القهوة . هل هناك من يريد تناولها ؟

قال "راد" متذمرا ومازال النوم باديا على صوته :

- ولم لا ؟

تبعت "كاري بت" و"كورتني" الفتيات إلى المطبخ .

سأل "راد" :

- كم الساعة الآن ؟

كشفت له نظرات أخيه المرحة - فجأة - عن أنه يمسك "إيلين" بين ذراعيه . تخلص من هذا الموقف في الحال . اعتدلت المرأة وحاولت أن تصفف شعرها بيد مترددة .

قالت "شارون" :

- إنها العاشرة تقريبا . هل قضيت الليلة هنا ؟

- لابد أنني نمت في أثناء الفيلم ومن ثم لم أعرف ما إذا كان هذا الطائر الأحمق أنقذ نفسه !

ثم توجه إلى "إيلين" متسائلا :

- وأنت ، كيف تشعرين ؟

- جامدة مثل الخشب .

قال "سلاد" ساخرا :

- كل هذا لا يفسر لي كيف تواجدتما أنتما و"كاري بت" على هذه الأريكة .

وبقايا الطعام تحيطكم . ثم يبدو أنكما انسجمتما . لما احمر وجهه من الارتباك نهض "راد" واقفا وخطا بضع خطوات في الحجرة .

همس وهو يرمق "إيلين" بنظرة توسل :

- حاولي أن تفسري له .

اقتربت منه واحتضنته .

ارتبك "راد" من براءة هذا الاعتراف الصامت في وجود "سلاد" و"شارون" .

أدارت "إيلين" رأسها نحو أختها وزوجها ثم قالت مفسرة بنبرة مطمئنة :

- بدأ كل شيء في الليلة الماضية وقد راهنت على "راد" بخمسة دولارات وربحته .

الفصل الثامن

كان تفسير الموقف هو الشغل الشاغل للأسرة .

في كل مرة يسألها أحد عن الوقت الذي بدأت فيه تخرج مع "راد" كانت تكرر نفس القصة داعية السماء أن تتوقف الأسئلة عند هذا الحد.

ماذا يمكنها أن تقول عن علاقتها بـ"راد" ؟

أما هو فإنه لا يرى أنه توجد علاقة بينهما . غاية ما في الأمر أنهما يتقابلان وهذا هو الموقف برمته ومن ثم فليس هناك ما يدعو أن نطلق عليه أي اسم .

كان الاثنان يلتقيان كل مساء لم يتصل بها قط نهارا . كان يكتفي بالذهاب قبل السادسة بقليل ويجلس إلى المائدة مع "إيلين" والطفلتين أو أنه يصطحبهن جميعا إلى العشاء خارج المنزل وخصوصا في أحد مطاعم المركز التجاري الذي اعتادت الصغيرتان الذهاب إليه .

بعد العشاء كان "راد" يحضر حمام الطفلتين . كان يبقى في بداية الأمر على عتبة الحمام ثم أخذ الأمر على عاتقه فيما بعد بينما كانت "إيلين" تستريح في الصالون .

كان "راد" و "إيلين" - بعد نوم الطفلتين - يشاهدان شرائط فيديو فقد كان الاثنان يحبان أفلام "هيتشكوك" وأفلام الغرب الأمريكي التقليدية . كانا يتحدثان معا لدى استماعهما إلى الموسيقى لأنهما اكتشفا والفرحة تكسوهما - أن لديهما ما يقولانه لبعضهما البعض وكانت محادثاتهما هادئة وتنتهي في أغلب الأحيان بالضحك العالي .

كانت "إيلين" تذهب إلى الجامعة مدة يومين أسبوعيا في المساء. كان "راد" يساعدها في الإعداد لاختباراتها . عندما حصلت على خمس عشرة درجة في الأدب الإنجليزي . هنأها بحرارة لكن إحدى عشرة درجة في التاريخ أحبطته ولم يخف ذلك عنها .

كان يصطحب "إيلين" أحيانا إلى حصصها وينتظرها في سيارته وأحيانا أخرى كان يتركها تذهب إلى الجامعة بمفردها ويعود هو إلى منزله .

حير وجود "راد" كلاً من "ميجين" و"كولين" اللتين اهتمتا برعاية الطفلتين في هاتين الأمسيتين . لكنهما امتنعتا عن توجيه أي سؤال . ذلك التحفظ الذي تعترف به "إيلين" لأنها لا تعرف بماذا تجيبهما .

منذ الليلة الشهيرة التي كادت الأمور أن تأخذ مسارا آخر بينهما فإن "راد" لم يقبلها أو يداعبها . ويا له من يوم حينما أفصح عن عدم قدرته على منع نفسه من لمسها !

ليس عليها أيضا أن تلقي نفسها بين ذراعيه !

لقد بدا أنه وصل إلى مدى عظيم من التحكم في نفسه ، عدا ما تقع عيناه عليه ..

إذا لم تكن "إيلين" قد شعرت بنظرات "راد" الملتهبة والمركزة عليها

فإنها كانت ستقتنع بانه مقدر عليهما ان يصبحا صديقين وتربط بينهما صداقة افلاطونية مثل التي تربطها بـ"تروي" .

إنه موقف غريب لا يبدو انه سينتهي إلى الأبد .

في اثناء ذلك الوقت هامت "إيلين" - رويدا رويدا - بهذا الرجل التي اكتشفت انه طيب القلب ... ذلك الرجل الذي يستمع إليها بقدر من الاهتمام ويتقاسم أوقاتها مع طفلتيها ... ولكن لا يشاركها حبها الذي يكمن داخل قلبها الذي يضطرم في كل مرة تراه فيها .

كانت "إيلين" تسال نفسها احيانا بعد رحيل "راد" : "هل هذا حقا ما يريده" ؟ كيف ستخرج من هذا الموقف ؟

إن آل "رامزي" لا يظهرون قدرا من الحنكة التي يظهرها آل "برادي" ولا يخفون فضولهم .

في اثناء عشاء عيد ميلاد "ريكي" الذي تم قبل ليلة رأس السنة باسبوع اطلق والدا "راد" بعض الأسئلة غير المتحفظة .

رفع "راد" - ردا على تساؤلاتهما - حاجبيه وركز نظراته وعلت شفتيه ابتسامة ساخرة . فقد فعل ما لم يتوقعه احد والتزم الصمت .

دندنت "إيلين" بصوتين غير مفهومين ثم انكبت على طبق طفلتيها اللتين لم تكونا في هذه اللحظة في احتياج إلى مساعدتها .

قالت "نولا" وهي تتصنع خبث القرد العجوز الذي لم يتعلم التكشير:

- حسنا ... حسنا ، اظن اننا سنطلع على الأمر عندما تاتي اللحظة المناسبة ... نحن نقدر ذلك جيدا . اليس كذلك يا "كونتين" ؟ نحن لسنا من نمط الناس الذي يدس انفه في الحياة الخاصة بزوجين شابين .

قال "كونتين" :

- بالتاكيد . اعطني فقط يا بني مهلة ساعة او ساعتين حتى يمكنني الذهاب للبحث عن خاتم أم جدتك في الخزانة .

قالت "نولا" مفسرة :

- إنها أم جدتي العزيزة . إنه يتحدث عن ياقوتة مرصعة بالزمرد . ارادت جدتي أن تمنحها إلى زوجة ابني الأكبر .

قالت "فانيسيا" بخبث :

- زوجته الأولى أم الثانية ؟ إنني لا اتذكر أن "بيريل" لم تحصل على هذا الإرث المزعوم قط .

قالت "نولا" بصوت متملق :

- الأمر لا يخصها . إنها ستصبح هدية نموذجية في عيد راس السنة ، ما رايك في ذلك يا "راد" ؟

احمرت "إيلين" والقت نظرة توسل إلى اخواتها لكنهن يشعرن بالضيق مثلها تماما .

همهم "چاد" :

- ها هو الاحترام الراجع إلى الحياة الخاصة بزوجين شابين . ليتك تبوح بكل شيء يا اخي العزيز ! متى سيكون اليوم العظيم ؟ من سيكون ضيف شرفك ؟ انا ام هذا البرجوازي "سلاد" ؟

التزم "راد" الصمت .

مالت "إيلين" على طبق ابنتها "كورتني" وحاولت أن تقلد "راد" في هدوئه على الرغم من أن اذنيها مضطرمتان .

قهقه "ريكي" :

- اضحك بقدر ما تستطيع يا "چاد" . سياتي دورك في القريب العاجل . انت و"تارا" فلا تنس ذلك !

لم تكن "تارا" قد عادت من جامعتها بعد وينتظر وصولها بعد عدة ايام .

اجابه "چاد" :

- إذا كنت تعتقد انك ظريف يا اخي الأصغر المسكين فمن الأحرى أن اموت عن ...

تدخلت "ميجين" بشجاعة :

- لا تهتما بـ"تارا" . إنها دائما ما تقول : إنها تفضل قبول وظيفة في "بيروت وسط الحرب على أن تتزوجك .

تعجبت "ڤانيسيا" :

- إنها محقة تماما !

همست "إيلين" في أذن "شارون" :

- هذا رد سريع .

كما هو متوقع استشاط "چاد" غضبا - في التو - بسبب سخرية اخته منه .

- لاحظت أن حياتك في الأونة الأخيرة أصبحت ... ماذا أسميها؟ ... حياة كئيبة يا أختي العزيزة . يبدو لي أن "تروي تيمون" لم يتذكرك بعد المزايدة عليه . هل أنا مخطئ ؟

قالت "ڤانيسيا" بضيق :

- لا أرغب في التحدث عن ذلك .

تعجب "چاد" :

- يا للمسكينة "ڤانيسيا" ! لقد راهنت بالف دولار على هذا الشخص حتى تسترعي انتباهه إليها لكن أتعرفون ماذا حدث . لقد أفصح لها أنه لا يرغب إلا في صداقتها !

انتظرت "إيلين" بقية الحكاية بفارغ الصبر . لقد حكى لها "تروي" كيف تصرف ليحبط حماس "ڤانيسيا" بشكل مهذب .

واصل "چاد" حديثه :

- وبعد ذلك كان من الواضح أن هذه السهرة المشؤومة لم تتضمن أي أسرار وأجهز "تيمون" على صغيرتنا المسكينة بضربة قاضية .

- "ڤانيسيا" ، قولي لهم : لماذا لم يعرض عليك شيئا سوى صداقته . هيا أخبريهم .

صاحت "ڤانيسيا" وهي تلقي منشفتها على الأرض وتنهض واقفة :

- أيها الوغد !

أعلن "چاد" بوضوح :

- اعترف "تيمون" لها بأنه يحب امرأة أخرى .

ساد ضحك صاخب في أرجاء الحجرة . ضحك آل "رامزي" لأنهم وجدوا القصة مسلية ، وضحكت كذلك فتيات آل "برادي" لأنهن لم يجرؤن على التفرد بعدم ضحكهن . كانت "إيلين" الوحيدة التي بقيت هادئة .

قالت "إيلين" في قرارة نفسها : "أتمنى ألا يعلم أي شخص في عائلة "رامزي" بحقيقة "تروي" وإلا أصبح الأمر فظيعاً .

إن "ڤانيسيا" إحدى أفراد آل "رامزي" ولا يمكن قهرها . اعتدلت وتأهبت للدفاع عن نفسها .

صاحت :

- إنك مخطئ في ضحكك يا "راد" . خمن من تلك المرأة التي يحبها "تروي تيمون" ؟

تكدر وجه "راد" لدى سماعه كلمات أخته .

سألها "ريكي" :

- من يحبها إذن ؟

تركزت عينا "ڤانيسيا" الرماديتان على "إيلين" .

تلفظت بعناية :

- لن أخبركم باسمها لكن يبدو أننا خصصنا لها الياقوتة الزمردية التي كانت لأم جدتنا .

ساد الصمت المطبق على صالة الطعام . لما كانت سعيدة بنفسها جلست "ڤانيسيا" مرة أخرى على كرسيها .

فجر "كونتين" الموقف أكثر :

- ماذا تعني هذه القصة ؟ "تيمون" قال : إنه يحب "إيلين" ؟ كيف تجرأ .

تساءلت "شارون" عما إذا كان "تروي" نطق باسم "إيلين" حقيقة أم انه مجرد استنتاج من "ڤانيسيا" ؟

ألقت "إيلين" نظرة اعتراف بالجميل إلى أختها . إنها لم تكشف لها عن سر "تروي" لكن أفهمتها بوضوح أن العلاقة بينها وبين "تروي" مجرد صداقة .

أجابته "ڤانيسيا" :

- لم يكن في احتياج إلى أن يخبرني باسمها . لقد رأوهما معا كثيرا . حتى اللحظة التي رأوا فيها "إيلين" مع "راد" .

ضحك "چاد" ساخرا :

- إنه مكر من جانبك أيتها العزيزة "إيلين" .

إن أي فرد من آل "رامزي" أفضل بكثير من آل "تيمون" !

جف حلق "إيلين" كما لو كان هناك حبل يخنقها .

فجأة بدت لها فظاظة الموقف غير محتملة .

همست وهي تنهض تاركة الغرفة :

- أرجو المعذرة :

لحقتها "شارون" في الحمام بعد عدة دقائق من انصرافها .

- هل تشعرين بأنك بخير ؟ أيمكنك العودة إلى مائدة الطعام ؟

هزت "إيلين" رأسها .

قالت "شارون" :

- لا تقلقي . لم يعودوا يهتمون بك . بمجرد أن رحلت قلبت "ميجين" كوبها على المائدة . أعتقد أنها فعلت ذلك عن عمد . ثم جاء الدور على "كورتني" التي سكبت لبنها على ركبتي "چاد" الذي بدأ يلفظ الشتائم

وترقرقت عينا "كورتني" بالدموع . في هذه اللحظة أخذ الجميع يعاتب "چاد" لأنه صرخ في الطفلة الصغيرة وأخافها!

قالت "إيلين" ملاحظة وهي تبتسم رغما عنها :

- ليس لدينا الوقت للضيق هنا .

- وخصوصا عندما يجتمع آل "برادي" وآل "رامزي" معا ... هيا ، تعالي . لن ينتبه أحد إلينا .

عادت "إيلين" و"شارون" إلى مكانهما دون أن تثار التعليقات بخصوصهما . كانت العائلة منشغلة جدا في توبيخ "چاد" الذي لم يبد أي ندم وطلب الإذن من والده بالخروج .

كان هذا السيناريو متعارفا عليه لدى آل "رامزي" الذين يقضون أوقاتهم في استبعاد أحدهم من المكتب أو من المنزل لكن دون أن يؤدي هذا إلى أية نتيجة أخرى . إن المستبعد يستعيد مكانه بعد وقت غير معلوم وكأن شيئا لم يحدث .

لما كان واثقا بالدور المقرر عليه نهض "چاد" وهو ينفجر مهددا ثم غادر الغرفة .

كانت "كورتني" الجالسة على ركبتي "راد" تأكل من طبقه دون أن تهتم بما يدور حولها في هذا العالم المتألم من مآسي الأشخاص الكبار .

علقت "كاري بت" :

- ليس لطيفا أن تصرخ هكذا .

قالت "كورتني" وهي تتلعثم :

- رجل شرير ...

صاحت "كاري بت" :

- "چاد" رجل شرير ولابد أن يبقى مدة ربع ساعة في مكان منعزل .

تعجب "ربكي" :

- "كاري بت" ، إنك قلت : "رجل" و"كورتني" قالت نفس الكلمة ؛ الم يعد "جاد" ابا ؟ الم تنادوه كذلك . وانا ايضا .

اجابته "كاري بت" بجدية :

- كـلا . إنك رجل و"جاد" و"تروي" كـذلك . العم "سـلاد" هو والد "كاثرين".

- و"راد" ؟

أكدت الطفلة الصغيرة :

- إنه والدي ووالد "كورتني" .

اضاء العطف وجه "كونتين" ثم قال :

- واضح ان هذه الطفلة فكرت في السؤال .

أحس "راد" ايضا بانه يذوب مثل السمن المعرض للشمس . ارتسمت ابتسامة بريئة على شفتيه . حاول أن يستعيد صفاءه المعتاد . لقد احس بانه انغرز في الرمال المتحركة حتى وصلت إلى عنقه .

لا جدوى من هروبه . لابد عليه ان يعترف بذلك .

لقد حاول أن يقاوم لكن مقاومته كانت بلا جدوى . الن يكون من الأسهل ان يترك نفسه حتى تبتلعه هذه الرمال ؟. لقد جذبته "إيلين" إليها رغما عنه .

تلاقت نظراته مع نظرات "إيلين" التي أدارت رأسها في التو . لكن سنحت له الفرصة لأن يرى الحب العنيف الذي تكنه له .

تساءل : لماذا يقاوم ؟ فيم يفيده هذا ؟

إنه يحب "إيلين" ويرغب في رؤيتها باستمرار ويدرك تماما انها تشعر بنفس الأحاسيس تجاهه . إنه يحب طفلتيها ايضا حباً كثيرا لانهما عوضاه عن فشله في إنجاب اطفال من زوجته السابقة ومن ثم لم يكن من الغريب أن يشعر ناحيتهما بعطف ورقة شديدين . إن الطفلتين تحبانه وبناء عليه فالحب متبادل بينهما . لماذا يتوقف إذن

عند هذا الحد ؟ إن الزواج بـ امراة مثل "إيلين" مدهش حقا .

قال لنفسه : "حسنا لنجرب في هذا المساء" .

# # #

قالت "إيلين" حينما قاد "راد" سيارته وسط الزحام .

- كان يجدر بنا أن يستقل كل واحد منا سيارته .

كانت نظرات آل "رامزي" المفهومة وتلميحاتهم الفظة مازالت كالهم الثقيل على قلب "إيلين" .

قال "راد" :

- وزيادة على ذلك اننا رحلنا معا . لم يدهشني أن والدي سيهرول إلى البنك في صباح الغد ليسحب هذا الخاتم الفظ من الخزانة ... إنها المرة الأولى التي اتكلم فيها عنه .

- الا تعتقد مع ذلك انهما اخترعا كل هذه القصة ؟ اقصد انهما اشتريا خاتما ويحاولان أن يجعلاه ضمن مجوهرات العائلة ؟

- كل شيء آت من ناحية والدي ممكن صراحة - لقد يئسا من زواجي انا و"جاد" و"فانيسيا" وبما انني الأكبر فإنهما يركزان كل جهودهما علي ، وعليك ايضا . إنك ترتكبين حماقة بظهورك معي في كل ارجاء المدينة .

اجابته "إيلين":

- لا اعتقد انها حماقة . على اية حال فإن كل دقيقة اقضيها معك تعتبر لذيذة وممتعة .

- تعلمين انه ... لدي فكرة لاجعل دقيقة من هذه الدقائق اكثر متعة .

اتخذ صوته نبرة غريبة . قفز قلب "إيلين" في صدرها . عندما امسك "راد" يدها لم تستطع ان تمنع نفسها من أن تنتفض . إنه يتجنب -

منذ وقت طويل - لمسها ...

- عندما نضع الطفلتين في سريرهما هذا المساء ...

ثم توقف عن مواصلة حديثه في الحال .

قال في قرارة نفسه : "ها هي مقدمة لسهرة حب" !

اتخذت افكار "إيلين" نفس الاتجاه . لقد قيل عنهما : إنهما يكونان أسرة حقيقية مع هاتين الطفلتين !

شد "راد" يده ووضعها على عجلة القيادة .

تنهدت "إيلين" وهي محبطة تماما . لاحظت اشتداد أعصابه وخصوصا فكه العريض .

وصلا إلى المنزل ومرت ساعة نوم الطفلتين المنهكتين بسرعة . نفذت طقوس حمامهما والقصة القصيرة بمنتهى السرعة .

نشطت "إيلين" وهي تشعر بالإثارة والخوف في نفس الوقت مثل الفتاة المتزوجة في ليلة زفافها .

تهافتت الذكريات المؤلمة عليها .

قالت في قرارة نفسها : "لا ! هذا لا يمت بصلة إلى الماضي . إنها البداية . رجل آخر وحياة جديدة ...

عادت إلى الصالون . كان "راد" جالسا على الأريكة .

سالها وهو يمد يده إليها :

- هل نامت الطفلتان ؟

- نعم . نامتا وذهبتا في سبات عميق . إن السهرة مع أسرتك انهكتهما تماما .

قال مقهقها :

- آل "رامزي" معروفون . باثرهم هذا على بعض الناس .

- اقصد ان هناك اشياء فعلوها في صالة الألعاب واحضروا الوجبات و ...

جذبها نحوه :

- هيا ، استرخي يا "إيلين" . بناء على ما اراه فإنني افضل ألا أعلن عن نياتي .

همست :

- عفوا .

- لا ، لا تعتذري ، إنها غلطتي . كانت تكفي دفعة في هذه الأسابيع الأخيرة لكي تسقطي بين ذراعي .

أعجبت "إيلين" بهدوئه وأحست هي الأخرى بالارتباك . كان من الواضح أنها المرة الأولى بالنسبة لها ، اما هو فكانت سهراته من مثل هذا النوع متعددة .

اجابته :

- لا . لن تمر الليلة كما تتخيل . إنني احبك . اعلم أن كل شيء معك سيصبح مختلفا ولن أكف عن تكرار هذا لنفسي .

فهم "راد" ما ترمي إليه "إيلين" . القت عليه نفس النظرة التي القتها "كاري بت" في اثناء حلمها . لابد أن يشعرها بحبه .

إن "إيلين" في أشد الاحتياج إلى الاطمئنان .

أكد لها :

- سيكون الأمر مختلفا معي . وفي البداية سناخذ وقتنا .

داعب شعرها ثم قال :

- يا عزيزتي إذا فعلت شيئا لم يرق لك فاخبريني به على الفور . أتعدينني بذلك ؟

- أعدك .

تنهد "راد" .

- إنني أحبك يا "إيلين" .

لما احمرت من الارتباك مثل البنت الصغيرة التي يجاملها أحد على

فستان العيد . ابتسمت "إيلين" .

- عزيزتي ...

وانهمرت القبلات بينهما .

سألها "راد" بعد عدة لحظات :

- هل أنت سعيدة ؟

همست وهي منهكة :

- شكرا .

- شكرا لك أيضا .

- إنه عظيم ، أليس كذلك ؟

انفجر "راد" في الضحك .

- أرى أنك سعيدة بنفسك .

أخفت رأسها في الوسادة .

سألته بعدها :

- هل ستبقى معي هذه الليلة ؟

كان "راد" حتى الآن يتبع قاعدة معينة تقضي بأن يتجنب قضاء ليلة كاملة مع امرأة . كان يكره أن يجد نفسه في صباح اليوم التالي دون فرشاة أسنان أو موسى حلاقة أو ملابس نظيفة .

بدت له كل هذه الأشياء - فجأة - بلا معنى .

قال وهو يقبلها من جديد :

- سأبقى يا عزيزتي .

الفصل التاسع

أيقظ ضوء الصباح "إيلين" . كان "راد" متمددا إلى جوارها . لما رأته إلى جانبها تذكرت في الحال ذكريات الليلة الماضية واحمرت خجلا .

إن كل شيء مختلف جدا عما عرفته مع "شارلي راي تيلر" !

توالت ذكريات ليلة البارحة على ذهنها .

استيقظ "راد" بعدها بلحظات ونظر إليها بعد أن فتح عينيه :

- أرجوك وفري علي تأنيب اليوم التالي لليلتنا . لقد قضينا الليلة معا وكانت ليلة مدهشة . سأستمر في احترامي لك . إنها لم تكن مغامرة عاطفية مؤقتة . لن أتركك يا "إيلين" بل سنلتقي أنا وأنت كثيرا.

حسنا . هل فكرت هكذا في كل شيء ؟ هل يمكنني العودة مرة أخرى إلى نومي ؟

- ليس هذا ما أسعى إليه ...

سالها بهدوء :

– ماذا هنالك إذن يا عزيزتي ؟

– "راد" ، لقد نسيت أن ... نسيت تماما أن أتخذ احتياطاتي . لقد نسيت ، أتقدر ذلك ؟... أعلم أنني أبدو حمقاء لكنني لم أفكر في هذا ولو لحظة .

سالها وقد اتخذ صوته نبرة مريرة أدهشت "إيلين" :

– هل تخشين أن تصبحي حاملا ؟

جلس وامسكها من كتفيها وأدارها نحوه .

– أتعتقدين أنني كنت سأتركك تغامرين ؟

– آه ، المرأة هي التي تجازف دائما وتتحمل تبعة ذلك .

فكرت "إيلين" في أمها التي تخلى عنها زوجها وتركها تربي بمفردها خمس بنات وفكرت في نفسها أيضا وفي بنتيها . لما تصورت نفسها حاملا في طفلها الثالث انهار قلبها .خفضت رأسها ثم واصلت حديثها :

– لا أنت ولا أنا ...

قاطعها "راد" .

– لست حاملا يا "إيلين" . صحيح أننا لم نأخذ احتياطاتنا لكن لا داعي لقلقك أبداً .

– لكنه مع ذلك قد يحدث .

– ربما يا "إيلين" . ونحن نعرف أنك قادرة على إنجاب الأطفال وهناك دليلان واضحان نائمان في الجانب الآخر من الدهليز .

قال مفكرا في قرارة نفسه : طفلتا "تيلر" . هذا الفظ "تيلر" كان قادرا على إنجاب طفل وأنا أحد أفراد آل "رامزي" والحاصل على دبلومة والمدير العام لمشروع يلقى نجاحا مبهرا وسليل إحدى الأسر العريقة والمتحضرة لا يمكنني إنجاب طفل . لا يمكنني" .

أخذ نفسا ليهدأ وتلفظ بوضوح وهو يخرج كل كلمة :

– لن يحدث هذا يا "إيلين" في هذه المرة ولن يحدث أبداً . لن تحمل أية امرأة مني أبداً .

رفعت "إيلين" عينيها وتساءلت :

– ولم لا ؟

قال منفجرا فيها :

– تبا لك . لا أريد الدخول في تفسيرات طبية بشأن هذا الموضوع !

أدركت "إيلين" أن هذا الاحتدام الشديد يخفي معاناة أشد . أحاطته بذراعيها واحتضنته بكل ما أوتي لها من قوة .

همست :

– لسنا مضطرين للتحدث عن هذا .

أحس بعضلاته تتمدد . لا ، لن تلاحقه "إيلين" بالأسئلة . لقد أثبت ذلك الصمت الرصين الذي كانت قد لاحظته عليه بعد مقابلتهما مع "بيريل" في المركز التجاري .

ويا للغرابة ! هذا الصمت وهذه الرصانة هما اللذان دفعا "راد" إلى أن يعترف لها بسره .

قال "راد" :

– عندما تزوجت أنا و"بيريل" قام الدكتور "دوبلار" من تنظيم الأسرة بعمل تحاليل لنا كانت نتيجتها النهائية أنه لا يمكنني إنجاب أطفال يا "إيلين" .

أحست أن ألم "راد" ينفذ إليها .

كانت تعرف دائما أن فشل زواج "راد" و"بيريل" راجع إلى شيء أكبر من تنافر الطباع المزعوم بينهما . لقد عرفت السبب الآن .

إن "بيريل" لا يمكنها أن تحمل من "راد" . لكنها ترغب من ناحية أخرى في إنجاب الأطفال ومن هنا ظهرت النزاعات بينهما والشجار

لاتفه الأسباب وكان الحل الوحيد هو الانفصال وقد حدث . لكن المشاعر التي كانت بينهما بعد الانفصال كانت متباينة وقد ظهر ذلك بالفعل عندما تقابلا في حضور "إيلين" : كانت "بيريل" سعيدة جدا لدى رؤية "راد" مع "كاري بت" و"كورتني" ، لما كانت معتقدة أنهما ابنتاه في حين أن "راد" لم يعرها أي اهتمام أو يلقي التحية عليها لدى انصرافه . وربما أسوأ ما في الأمر أن "بيريل" نجحت في إنجاب ثلاثة أطفال من رجل آخر بينما "راد" منكب على عمله ويزيد من مغامراته العاطفية العابرة والمؤقتة بل إنه يزداد فظاظة ووحشية عن اليوم السابق له !

لقد اتضحت الأمور الآن تماما بدءا من رفضه الانخراط في قصة حب . حتى تصرفه في يوم ميلاد ابنة أخيه ومرورا بمحاولته الظهور أمام "بيريل" على أنه والد الطفلتين .

لقد اتضحت الأمور .

"إنني سعيدة أن "راد" قابلك" . هذا هو كلام زوجته السابقة "بيريل" . لابد أنها ظنت أن خطأ ما وقع في أثناء التحاليل وأن "راد" تمكن – على الرغم من كل شيء – من إنجاب أطفال . لقد انتهى زواجهما نهاية ماسوية يغلفها التأنيب والمرارة . لا يوجد ما يدعو إلى الدهشة من أنها سعدت لأنها وجدت "راد" سعيدا ورب أسرة .

لما كانت تعرف "راد" تخيلت "إيلين" مدى تألمه طوال هذه السنين. إنه لن يعترف بذلك بكل تأكيد . إنها تعرف أيضا أنه لا يجب عليها أن تبدي أية شفقة تجاهه لأنه سيهرب في الحال . التزمت الصمت أيضا أثناء تلاقي تشابك أيديهما ببعض ظلا على هذا الوضع فترة طويلة دون أن يتحركا لكن كل منهما منتبه إلى الآخر .

قال "راد" أخيرا مع الابتسامة الساخرة التي هي من عادته :

– النساء تحلم بإنجاب الأطفال . لقد عرفت هذا . وأنتن يا فتيات آل "برادي" أكثر من غيركن . أعلم بل إنني متأكد أنك ترغبين طفلا آخر .

رفعت "إيلين" كتفيها :

– إنني محظوظة بإنجاب طفلتين من قبل . منذ وقت طويل اعتدت عدم التفكير في إنجاب طفل آخر .

دهش "راد" من هذه الإجابة . كان يتوقع شيئا آخر . ابتعد "راد" عنها ببطء ليتفرس فيها :

– لماذا ؟

– لأنني عرفت طريقتين لإنجاب طفل . الطريقة الأولى : وهي الزواج وبعد حياتي التعيسة مع "شارلي راي" لم أعد أرغب في التجربة من جديد . الطريقة الثانية :وهي الاغتصاب صدقني إن مرة واحدة معي تكفي .

– أؤكد لك يا عزيزتي أنه توجد طرق أخرى مناسبة . أولا ليست كل حالات الزواج مشؤومة . ثم إن الارتباط السعيد الذي يمكن أن يؤدي إلى الحمل أفضل من الاغتصاب .

قالت معترفة :

– اتفقنا . لكن من السهل أكثر علي أن أهرول إلى أختي واللعب مع طفلتها .

أقر "راد" :

– بالمناسبة إنني غير قادر على رؤية هذه الطفلة بسعادة . في كل مرة أنظر إليها يبدو لي أنني أسمع والدي يتشدق بأصل آل "رامزي" .

اختنق صوته واحمر خجلا .

لابد أنه وثق بـ "إيلين" ليعترف لها بذلك حتى ولو لم يكن مدركا لما قاله .

قالت ملاحظة :

– لا تفكر في والد "كاري بت" و"كورتني" عندما تراهما . يبدو عليك أنك تحبهما بصدق .

– بالتأكيد ! إنهما بنتان رائعتان . إن المسكينتين لم تختارا والدهما .

– و"كاثرين" كذلك . إنها مجرد طفلة صغيرة بريئة مثل "كاري بت" و"كورتني . إذا نسيت من أبوها فإنك ستحبها هي الأخرى . أعلم أنك تفضل الموت على الاعتراف بذلك لكنك تحب الأطفال يا "راد رامزي" كما أنك لطيف معهن . لا تحرم نفسك من السعادة التي يمكن أن تمنحها الصغيرة "كاثرين" لك من أجل مسألة التنافس الأخوي . تلك المنافسة الغبية والعابثة .

ضحك "راد" من أعماق قلبه :

– ماذا تقولين ؟ المنافسة الأخوية غبية وعابثة ؟ مرحى ! سجلي اسمك في حصص المجال النفسي في السنة القادمة . مع مثل هذه التفسيرات التي شرحتها لي فإنك ستحصلين على درجة أفضل من الإحدى عشرة التي حصلت عليها !

تظاهرت بالضيق :

– إنك تسخر من درجتي في التاريخ ! حالفني الحظ بالحصول عليها ! التاريخ القديم ، يا لها من فوضى ! إنه يتضمن تواريخ كثيرة وأحداثا متشابكة وعويصة مثل التي توجد في الشرق الأوسط . كيف لي أن أشعر بالحيرة ؟

قال مؤكداً :

– لم تقابلني أية مشكلات قط في التاريخ . كنت أحصل دائما على سبع عشرة درجة أو ثماني عشرة درجة بدون أي مجهود كبير. لكن كيف وصلنا إلى الحديث عن التاريخ ؟

تساءل – وهو يعرف تماما أنه سيهرب في غضون خمس دقائق- عن عدم إصابتها بالهيستيريا أو إظهار العطف عليه إثر اعترافه بالعقم الذي يعانيه .

دفعته "إيلين" وحاولت أن تبدو غاضبة .

– دبرت أمرك حتى تصل في النهاية إلى التحدث عن درجتي الضعيفة في التاريخ حتى يمكنك أن تفتخر بالسبع عشرة درجة والثماني عشرة درجة بدون مجهود ! وأنا بدوري أعرف الأمر التالي . هل ستحكي لي عن نجاحك الذي حصلت عليه في الأدب الإنجليزي دون أن تفتح الكتاب بينما أنا أكدح نفسي في المذاكرة حتى أحصل على درجة متواضعة !

– هل أخبرتك عن درجاتي في الجغرافيا ؟

– مليون مرة !

– ودرجة امتحاني الشفهي في اللغة الإسبانية ؟

– نعم ، نعم ، نعم !

وضعت يدها على فمه . اعتدل "راد" ليقبل جبهتها برقة . تمتم :

– إنك رائعة يا "إيلين" .

قال في نفسه : "رائعة ورقيقة وذكية وجميلة و..."

كيف أصبح في إمكانه أن يشعر هو الآخر بالسعادة ، السعادة الحقيقية حينما اعترف بعقمه ؟

إنه لم يشعر بالخزي أو بأي نقص . معجزة !

إن بشاشة "إيلين" ورقتها كانت مثل البلسم المهدئ لكبريائه المجروحة .

تلاقت نظراتهما .

قالت برقة :

– أحبك .

– يبدو هذا حقيقيا ...

– مازال الوقت مبكرا . ستنام الطفلتان ساعتين أخريين وبعد ذلك

يستيقظان .

- هذا أمر مزعج . ماذا يمكننا أن نفعله ؟

وضعت "إيلين" يدها على خدها وهي تبدو متحيرة .

- كانت لدي فكرة الآن لكنها سرعان ما تلاشت من ذهني .

قال :

- لنفكر إذن . هل تفضلين لعبة ملء الخانات او لعب الورق ؟ إنني ممتاز في لعب الورق الخادع . يمكنني أن اعلمك لو أردت .

اجتاحها الضحك الصاخب . امسكها "راد" من كتفيها وأرجعها إلى الخلف .

همس بصوت منخفض .

- لدي فكرة . ستكونين أنت السيدة وانا الرجل . اتفقنا ؟

- اتفقنا .

\# \# \#

- ستذهب إلى حفلة رأس السنة في مركز الإعانة .

تفرس "جاد" أخاه الأكبر وهو غير مصدق ثم انفجر ضاحكا :

- هل أخوات "برادي" اقنعوك بان تتنكر في هيئة القديس "نيكولاس" لتوزع الهدايا ؟

- إنك مضحك يا عزيزي "جاد" . هيا ، ها هو الملف الذي تريده والآن اخرج من مكتبي لو سمحت .

- على الرحب والسعة .... لكنه غير مجد - على ما أعتقد - أن أدعوك في عيد رأس السنة ؟ ستذهب إلى الكنيسة بالتأكيد مع "إيلين" وطفلتيها ؟

- عمت مساء يا "جاد" .

- الأمر هكذا إذن ! لم أخطىء في كلامي . يا له من انحلال !

تقدم "راد" نحوه متوعدا إياه ومن ثم تراجع "جاد" بضع خطوات .

ساله وهو يفتح الباب :

- هل سنراك أنت وعائلتك الصغيرة في وجبة ليلة رأس السنة بمنزل والديك ؟ أعلم انك تقيم في منزل "إيلين" . علمت من احدهم ذلك . ستقضي الأعياد معها ومع طفلتيها بالتأكيد ...

تعمد "راد" تجاهل نظرات أخيه الساخرة وأجابه بهدوء :

- سنمر لرؤية والديك بعد الظهر وليس قبل ذلك . ترغب "إيلين" في الاحتفال بليلة رأس السنة بمنزلها مع أخواتها و"سلاد" والأطفال .

- يا أخي العزيز لقد أصبحت "ولوعا" بها ، أليس كذلك ؟

هز "جاد" رأسه وهو يدير عينيه بدهشة ثم واصل حديثه :

- في السنة القادمة سيوجد - بالتأكيد - طفل جديد ينتمي إلى آل "رامزي" . سيسعد والداي لهذا وسيتعجلان زواجي من أول امرأة حمقاء تظهر . شكرا يا أخي . يا لك من خائن !

أجابه "راد" :

- عيد ميلاد سعيد يا عزيزي "جوناثان إدوارد" .

كان الجميع يعلم مدى فزع "جاد" من اسمه الحقيقي . لقد نطقه "راد" كإعلان عن الحرب .

خرج "جاد" من الحجرة مغلقا الباب وراءه . عاد "راد" للجلوس إلى مكتبه . فتح الدرج وأخرج منه علبة مجوهرات وفتحها . لمع الخاتم الموضوع على مسند من القطيفة الحمراء . كان خاتما من الياقوت والزمرد ... نظر إليه كثيرا قبل أن يعيده إلى العلبة بعناية .

\# \# \#

أقيم حفل عيد الميلاد من أجل مركز الإعانة في الرابع والعشرين من ديسمبر بعد الظهر . كان "راد" يلاحظ المنظر من بعيد . أمام الأطفال

المتجمعين وقف القديس "نيكولاس" محيطا بهم وهو يخرج الهدايا من جرابه ويوزعها . كانت فتيات آل "برادي" الخمس يتجولن وسط الحاضرين ويعرضن عليهم المثلجات والجاتوهات والبونبون . تلقى كل شخص بالغ أيضا هدية وكل هذا بسبب سخاء آل "برادي" ولم يكن يعرف أحد بهذا ماعدا آل "رامزي" وآل "برادي" .

كان "كونتين" مذهولا .

قال معترضا عندما علم بمشروعهن :

- يا عزيزاتي ! لستن مضطرات للدفع من جيوبكن . استخدمن تاثيركن إذن وعلاقاتكن من أجل أن يسهم الآخرون . لماذا لم تحدثنني عن ذلك من قبل ؟ كان يمكنني جلب تجار من مركز "رامزي" ليقدموا هدايا شتى : بونبون ومشروبات وديكورات ... كل شيء !

اعترضت "تارا" التي أبدت شجاعة عن أخواتها :

- لكننا سعينا إلى أن ندفع بانفسنا . إذا لم تفعل اي شيء من أجل الآخرين فلن يمكننا إسعاد أنفسنا وستصبح حفلة عيد الميلاد كئيبة . كنا نحتاج إلى المشاركة . نظمنا هذه الحفلة ويمكننا بعد ذلك تناول وجبة ليلة راس السنة عن طيب خاطر ثم نفرغ هدايانا .

اكتظت الحفلة عن آخرها . لاحظ "راد" "إيلين" . كانت مدهشة ورائعة في فستانها الأحمر وعينيها السمراوين . جذب وجهها النضر الانظار إليها .

لاحظها حينما كانت ترحب بمقيمي مركز الإعانة بمنتهى السهولة لا يظن نفسه قادرا عليها . كان هؤلاء البائسون غرباء بالنسبة له . إن البؤس شيء لم يتمكن من تصوره ولا يريد أن يتصوره أيضا .

أحست "إيلين" انه ينظر إليها . عبرت الغرفة واقتربت منه .

سالت وهي تعقد يديها خلف راس "راد" :

- هل هذا شاق أيضا حتى إنك تخشاه ؟

- بالفعل . رؤية هؤلاء الناس تجعلني غير مرتاح . اخشى أن يسرع إلي احدهم ليحكي لي عن آلامه .

- لا يوجد اي خطر . إنك مبتسم مثل السجان .

- مثل السجان ؟ يا لها من طريقة لأن تتحدث امراة عن حبيبها!

حاول "راد" بقدر الإمكان أن يضمها إليه ويقبلها بقوة ... لكن الوقت ليس مناسبا . فيما بعد عندما يصبحان بمفردهما ...

وقفت على أطراف قدميها لتداعب خد "راد" بشفتيها .

همست في اذنه قبل أن تختفي بين الحاضرين :

- الحفلة على وشك أن تنتهي وسيمكننا العودة إلى منزلنا .

كرر "راد" لنفسه : "إلى منزلنا" . كانت "إيلين" تتحدث عن منزلها . لقد كان "جاد" محقا في كلامه . منذ أن اصبحا معا عاش "راد" مع "إيلين" . لم تكن إقامته معها بشكل رسمي لكن ملابسه وفساتينها يجاوران بعضهما البعض في نفس الدولاب والغسالة وموسى الحلاقة يجاور أحمر الشفاه . كانت "كاري بث" و"كورتني" تعرفان جيدا أن "راد" يقيم مع امهما . لحسن الحظ ان الطفلتين كانتا لاتزالان صغيرتين حتى لا تطرحا اي اسئلة محرجة ويتقبلا الوضع دون اي ضيق .

هو أيضا ! إنه أيضا في سكون الليل مجبر على الاعتراف بهزيمته وأنها تملكت منه . لقد خشي من عدم استطاعته أن ينفصل عنها في يوم من الأيام وهذا اقلقه أحيانا . فكر في أن يلملم حاجياته ويهرب بعيدا ... بعيدا جدا لكنه يعترف - في أوقات أخرى - بهزيمته ويتلاعب بفكرة بقاء الوضع الراهن والتصديق عليه . لكنه لم يفعل هذا او ذاك حتى الآن .

لاقى حفل عيد الميلاد في مركز الإعانة نجاحا .

أوصل "راد" بنات آل "برادي" في سيارة "إيلين" وهو يستمع إلى ثرثرتهن .

كان مسرورا من نفسه . لقد دهشت "إيلين" من انه اصطحبها إلى مركز الإعانة . لكن "سلاد" لم يات حيث فضل البقاء لمرافقة "كاثرين" و"كاري بت" و"كورتني" في المنزل .

لقد رافق "راد" "إيلين" لسببين : أولهما لأن هذا الحي سيء السمعة أما الثاني فهو لأن الانفصال عن "إيلين" يبدو له فظيعا .

أكد لنفسه بفرح : "لقد تغيرت تماما . اصبحت مستاثرا ورجل المنزل وغيورا وشخصا مهتما ببنتين ! اه ، اه !".

# # #

تعجبت "إيلين" بسرور :

- يا لسحر عيد الميلاد ! إنه يظهر في كل سنة .

رتبت الهدايا على قدم شجرة التنوب بمساعدة الطفلتين وقد كانت زينتها هي و"راد" في الأسبوع الماضي .

كان "راد" مسؤولا عن ملء أشجار عيد الميلاد الحمراء باللعب والبونبون.

واصلت "إيلين" حديثها :

- حتى عندما لا نمتلك مالا كثيرا لنصرفه في هذا اليوم فإننا نعرف أن شيئا خاصا سيحدث . إنه نوع من الانتظار المحموم !

توقفت لتبدي إعجابها بشجرة التنوب وبريقها المدهش .

- لن ادهش إذا ظهر القديس "نيكولاس" حقيقة .

قال "راد" ملاحظا :

- في مثل هذه الحالة يلزم علينا أن نمنعه من الاقتراب من "كورتني". إنها تخشاه جدا !

- كوني هادئة . لن ترفض هداياه . "كاري بت" احبت كثيرا حكاية

عيد الميلاد التي قراتها عليهما قبل ان تناما . كانت فكرة رائعة .

- إنها حكاية كانوا يحكونها لنا كل سنة في عشية ليلة عيد الميلاد . إنه تقليد إلى حد ما .

سالته فجاة :

- اترى انني لم اذهب إلى منزلك قط .

- هذا صحيح . كان من المفترض في امسية المزايدة أن أصطحبك إلى هناك لأستميلك . لكن الامر اختلف تماما .

اقتربت بشدة منه ثم قالت مقترحة :

- استملني الآن وهنا .

- رغباتك اوامر يا سيدتي العزيزة لكن لا تنسي اولا ان ناكل الجاتوه الذي تركته "كاري بت" للقديس "نيكولاس" . سيصيبها الإحباط لو راته كما هو .

قسم "راد" البسكوتة ووضع قطعة منها بين شفتي "إيلين" وقضم الاخرى . ثم رفع المراة بذراعيه وحملها إلى الغرفة .

استيقظ الاثنان بعد الفجر بقليل على صرخات "كاري بت" التي دخلت عليهما الحجرة وهي تشد معها "كورتني" المترنحة من النعاس .

صاحت "كاري بت" وهي تصعد على السرير :

- أبي ! أمي ! القديس "نيكولاس" اتى ! القيت نظرة على الصالون ورايته .

صاح "راد":

- حقا ؟ إنه إذن صوت قدميه الذي سمعته على السطح في هذه الليلة .

صاحت "كاري بت" متعجبة :

- سمعت صوت قدميه ؟

قال "راد" :

- في السنة القادمة سنترك جزرا أو شيئا من هذا القبيل لياكله على السطح .

لما سمعت "كاري بت" كلامه ضربت يدها بيد "كورتني" .

عمت السعادة قلب "إيلين" . لقد علمتها الحياة أن تكون حذرة وألا تقيم مشروعات على المدى الطويل وحتى الآن لم يتكلم عن المستقبل المشترك بينهما . عيد رأس السنة في العام القادم سيجتمعون هم الأربعة ... راودها هذا الحلم فجاة . كان من الواضح ان سحر ليلة عيد الميلاد مازال مستمرا !

ذهب الجميع إلى الصالون حيث فتحت الطفلتان هداياهما بحماس.

بعد ذلك بقليل وصل - "سلاد" و"شارون" وطفلتهما الرضيعة وفتيات آل "برادي" ومعهم لفافات جديدة من الهدايا .

بعد توزيع الهدايا وعبارات الشكر جازف "سلاد" بطرح سؤال كتمته بداخلهن فتيات آل "برادي" :

- حسنا يا "إيلين" ماذا أعطاك "راد" ؟ إنني أعجبت بصدرية الصوف التي أعطيته إياها لكن ماذا تلقيت انت كهدية ؟

تركزت أربعة أزواج من العيون الجاحظة من الفضول على "راد" في الحال .

قال بعدم اكتراث مصطنع :

- لم أمنحها هديتها بعد . إنني انتظر تقديمها أمام الجميع بدأت "كولين" و"ميجين" تقهقهان من الإثارة وهذا مازاد اضطراب "إيلين" . توقعت أخواتها انه سيقدم لها خاتم الخطوبة وربما وصية جدة الأم الشهيرة . إن "إيلين" نفسها كانت متاكدة انه لن يفعل شيئا لا اليوم ولا أمام الناس ولا بعد ما قاله . لقد أحب فقط أن يناقض اقتراحات الآخرين . لقد بدأت في التعرف عليه .

قالت "ميجين" متوسلة :

- هيا أحضر هدية "إيلين" . سنموت من الفضول .

غاب "راد" بضع دقائق وعاد مع لفة كبيرة . تعرف الجميع على الورقة الملفوفة فيها الهدية لأنها من أحد محال مركز "رامزي" التجاري.

رأى "راد" وجوه فتيات آل "برادي" تتمدد من الإحباط . في الجيب الداخلي لبذلته ظهرت لفة صغيرة وبدت ثقيلة . تردد لحظة .

قال وهو يمد يده بالعلبة إلى "إيلين" :

- عيد ميلاد سعيد .

رأى "راد" في عينيها أنها ليست محبطة وقد بدا أنها وجدت الموقف مضحكا وهذا ما قضى على اضطرابها .

قالت وهي لا تكف عن الابتسام :

- شكرا جزيلا يا "راد" .

سالت "كولين" :

- أتتذكرين هذه النشرة في التليفزيون ؟ سلسلة كبيرة من اللفافات الكبيرة التي لابد من تفريغها حتى تصل إلى علبة صغيرة. إنه خاتم جميل .

فتحت "إيلين" اللفة :

لاحظت "ميجين" بصعوبة :

- لا يوجد علب أخرى بالداخل .

تذمرت "كولين" :

- صدرية صوف !

صاحت "إيلين" :

- إنها رائعة .

كانت صدرية الصوف جميلة حقا مع ألوانها المختلفة التي تنم عن ذوق رفيع . إنها عمل فني حقيقي لابد أن يكافأ بثروة كبيرة !

قفزت "إيلين" على عنق "راد" :

– شكرا جزيلا ! إنني أحببتها ! انتظر سأذهب لارتدائها .

عادت بعد قليل وقد ارتدت الصدرية وتنورة بيضاء . أبدى الجميع إعجابه بأناقتها .

قالت وهي تمسك يد "راد" :

– وردت نفس الفكرة ببالنا . ماذا نسميه ؟ هل نطلق عليه تلاقي روحين ؟

قهقه "راد" وهو دهش بعض الشيء :

– لم أسمع بهذا أبدا .

كان يبدو عليها حقا أنها سعيدة بهديتها . ألم تكن تأمل في الحقيقة شيئا آخر ؟ إنه لا يعرف شيئا إلا التفكير . إن القبلة التي منحها إياها جعلتها مترنحة .

ذهبا – بعد ذلك – بعد الظهر إلى منزل آل "رامزي" حيث تم توزيع هدايا أخرى من جديد .

تعجبت "تارا" بمجرد أن فتح لها الباب :

– انظر إلى صدرية الصوف التي قدمها "راد" إلى "إيلين" .

أجابها "چاد" في الحال :

– حسنا ! اعتقدت أنها كانت ستتلقى خاتما . صدرية صوف ! ياله من إحباط قد أصابنا جميعا !

أحست "إيلين" تحت نظرات آل "رامزي" المتضافرة بأن خديها يضطرمان مرة أخرى . لحسن الحظ بدأت "كاري بث" و"كورتني" في المبادرة بالكلام .

قالت "كاري بث" السعيدة بجذب انتباه الجميع عليها :

– لقد أحضرنا هدايا لكما يا جدي ويا جدتي .

– آه ! يا لك من ظريفة يا عزيزتي . نحن أيضا لدينا أشياء كثيرة أحضرها القديس "نيكولاس" من أجلكما . هيا نذهب لرؤيتها .

هرولت "كاري بث" و"كورتني" وبدأت حفلة الهدايا .

لم يجرؤ أحد على التحدث عن المجوهرات أو صدرية الصوف .

الفصل العاشر

تنهدت "إيلين" وهي تغطي طفلتيها بالأغطية التي دفعتاها باقدامهما وهما نائمتان :

- إنه أجمل عيد راس سنة عايشته .

لقد نامت الطفلتان الصغيرتان وسط كل العابهما الجديدة .

قالت "إيلين" في قرارة نفسها : "يا له من يوم رائع" !

لقد تناول الجميع الديك الرومي واللحوم المشوية وكل الأطباق المفضلة لآل "برادي" وآل "رامزي" . سجل "سلاد" شريط فيديو ووعد "إيلين" بإعطائها نسخة .

قالت وهي تتمدد إلى جواره :

- لم أشعر بالسعادة أبداً مثل هذا اليوم يا "راد" .

- هل ستسعدين أكثر إذا ارتديت خاتما في أصبعك ؟

- أحب كثيرا صدرية الصوف التي منحتني إياها .

- على عكس ما توقعه كل أعضاء أسرتينا . ألم تتوقعي أن تتلقي خاتما اليوم ؟

اجابته بهدوء :

- كلا ، لم اتوقع . لم تقل أبداً : إنك تحبني ولم تطلب مني الزواج ، فلماذا تقدم لي خاتما ؟

قال "راد" في نفسه : "إنها محقة فيما قالته" . لماذا شعر حينذاك بان الاف السهام تخترق قلبه ؟

كان ينبغي أن يسعد بما قالته . لقد كان لا يحتمل ابدا أن تفرض عليه امراة واجبات أو يفرض عليه اي شيء مهما كان .

أدرك فجاة بوضوح انه هو الذي كان يفرض ويتشدد فيما يطلبه.

لقد فرض على "إيلين" ان تحبه كل يوم وأن تكرس له كل وقتها على حساب حياتها الاجتماعية التي تسير بشكل طبيعي وأن تتوافق مع مزاجه ورغباته على ان تبقى في نفس الوقت محبوبة وسعيدة ومنتبهة . هذه المتطلبات كانت كافية . كيف ينصرف عنها الآن ؟ لقد اعتادها "راد" . "چاد" كان محقا عندما قال : إنه اصبح ولعا بها. إنه لـ"إيلين" ولحبها مثل المخدر .

كانت هذه الفكرة مرعبة .

لقد حدث هذا الاعتياد بشكل غير محسوس في خلال عدة أسابيع بينما ظن نفسه قد سيطر على زمام الأمور .

في لحظة معينة لا يعرف متى ستاتي ستتغير الادوار وتصبح "إيلين" المتحكمة في اللعبة بنفسها .

إن الحياة بدون هذه المراة لن يكون لها طعم أو رائحة . إن "راد" يحتاج إليها وربما اكثر مما تحتاج هي :

كانت هذه الفكرة بمثابة الصدمة الكهربائية عليه .

حاول أن يستعيد بروده :

– حسنا . على أية حال هناك اتفاق بيننا على تجنب الكلمات الكبيرة والمشاعر الفياضة . اليس كذلك ؟

اجابته :

– لا أتذكر هذا الاتفاق . إنني أشعر تجاهك بإحساس عظيم . تعلم يا "راد" انني احبك .

رأى عيني "إيلين" تمتلئان بالدموع .

صاح "راد" ساخطا :

– لا تبكي . ارجوك يا "إيلين" .

أجابته :

– إنني لا أبكي .

ابتعد "راد" . لقد بدا غاضبا جدا .

– لكنك تبكين يا "إيلين" ! اقري بذلك ! كنت سعيدة طوال اليوم . توقعت طلب الزواج بك وخاتم الخطوبة . لكنك لم تحصلي على اي منهما . تصرفت جيدا حتى المساء لكنك الآن منهارة .

– غير صحيح ، غير صحيح ! إنك تعرقل كل شيء .

– هذا خطئي انا . انا المذنب الوحيد . تركتك تشغفين حبا بي اكثر مما أستحقه . تركتك لتصبحي خاضعة لي وتعتادي علي وقد اخطات. لانني لست الرجل الذي يمكنك الاعتماد عليه في علاقة دائمة . قلت لك هذا منذ البداية لكن يبدو أنني لم اكرره في اغلب الأحيان .

نظرت "إيلين" – وقلبها ينبض – إلى "راد" بدهشة . إنها لا تفهم على الإطلاق السبب الذي جعله يسهب هكذا في كلامه في هذه اللحظة بالذات لكنها تدرك جيداً انه قد قال واتضح ايضا ما لم يقله . كانت تود أن تصرخ فيه لتوقفه .

واصل "راد" حديثه برباطة جاش :

– أعتقد انه يجب علينا أن نعطي مهلة لانفسنا يا "إيلين" .

احست أن الدم يتجمد في عروقها .

– أرجوك يا "راد" : لا .

نهض "راد" وهو يتجنب النظر إليها وبدأ يرتدي ملابسه . قال بجفاء :

– لقد قضينا أوقاتا ممتعة معا يا "إيلين" . لكنني اخشى أن تعاني إذا بقينا هكذا .

وفجاة تملكه نوع من الاضطراب . هل هذا الاضطراب مثل الذي يسبق المعركة أو يسبق الهروب ؟ لابد أن يعترف باضطراب الهروب . الهروب من تهديد الحب وكل ما يمكن أن يصاحبه من زواج ومعاناة وندم...

بدأ قلب "إيلين" يثقل فجاة على صدرها :

همست :

– تقصد أن كل شيء انتهى ؟ لكن ما السبب ؟ كيف ؟

احست أنها على حافة الغثيان .

– لا . لم ينته لكننا فقط نحتاج إلى مهلة للتفكير .

فتح الرجل دولاب الملابس واخذ يلملم ملابسه .

– ماذا تقصد ؟

هل يمكنها أن تحتفظ ببصيص من الأمل ؟ إن هذا هو ما ترغب في طلبه منه . لقد مر "راد" – دون شك – بمرحلة شاقة ومؤلمة لكنه أمر طبيعي . إنه خوف رجل عازب من قوة مشاعره التي يحسها... إنه نوع من البيات المؤقت يلجا إليه مثلما لجا إليه بعض الرجال من قبله... لكن هل تستعيد الحياة والحب والطبيعة حقوقها ؟ ربما يعود منه منتصرا وسعيدا ...

لكن كل هذا مجرد افتراضات وقد عانت "إيلين" كثيرا حتى تتشبث بها .

قال "راد" :

- أقصد أنني أريد الاستمرار في رؤيتك ورؤية الطفلتين على الأقل من وقت لآخر .

- هل أخبر الطفلتين بما تنويه ؟ سيدهشان لعدم رؤيتك طوال الوقت مثلما كان الحال من قبل .

على الرغم من محاولتها المستميتة في منع دموعها إلا أنها بدأت تفيض على خديها .

أدار "راد" في الحال عينيه لأنه لا يستطيع تحمل ذلك .

قال متذمرا وهو يتسلل إلى الحمام ليجمع حاجياته :

- اسمعي ... سأتصل بك .

انصرف "راد" بعد قليل وهو يحاول ألا ينصت إلى نحيب "إيلين". لم تكن هناك أية فكرة تدور بذهنه سوى الرجوع إلى منزله حيث لا ينتظره أحد وحيث الوحدة المطلقة .

# # #

استيقظت "إيلين" في اليوم التالي وهي تشكو صداعا وحشرجة في الحلق واضطرام عينيها . كانت تسمع "كاري بت" و"كورتني" اللتين تلعبان في حجرتهما وتلألأت موجة من الدموع مرة أخرى على خديها

كانت الطفلتان تعشقان تناول الفطور مع "راد" . إنهما ستفتقدانه هذا الصباح .

إن النظرة السريعة على التقويم ومختلف الرموز أوضح لـ"إيلين" أنها ستشعر بمضايقات في هذا اليوم .

مرت الساعات ببطء . بذلت "إيلين" مجهودا كبيرا لتبدو سعيدة . لحسن الحظ لم تلمح الصغيرتان غياب "راد" لانشغالهما بلعبهما

الجديدة . عزمت "إيلين" في المساء أن تخبرهما أن "والدهما" لديه عمل كثير ولابد أن يبقى في مكتبه ثم قدمت إليهما المثلجات وسمحت لهما بمشاهدة التليفزيون . كان هذا بمثابة هروب وحيلة علاوة على أن هذا هو كل ما تسمح به القوة التي تتمتع بها "إيلين". عندما طرق الباب قفز قلبها من السعادة . جرت لتفتحه وهي تتمنى أن يكون الطارق هو "راد" .

كان "تروي" واقفا على عتبة الباب ولفة كبيرة بين ذراعيه .

صاح :

- عيد ميلاد سعيد يا "إيلين" ! أحضرت شيئا من أجل الطفلتين.

نجحت "إيلين" في إخفاء إحباطها وابتسمت :

- كم هذا لطيف منك يا "تروي" . ادخل .

كانت سعادة "تروي" واضحة عندما مزقت "كاري بت" و"كورتني" الورقة الملفوفة بها الهدية .

تعجبت "كاري بت" عندما رأت حوض الأسماك المليء بالماء حيث يتصارع عشرات الأسماك الاستوائية .

قالت "كاري بت" :

- لا ينقصنا الآن سوى قط صغير ليمسكها .

علق "تروي" :

- يا لها من فتاة صغيرة ذات مزاج دموي ! . أثر آل "رامزي" عليها... بالمناسبة "راد" غير موجود هنا ؟ لابد أن أعترف لك أنني لا أرغب حقا في مقابلته . عندما رأيت سيارته غير موجودة أمام منزلك شكرت حظي العالي .

شدت "إيلين" "تروي" إلى حجرة أخرى بعيدا عن مسامع الطفلتين .

قالت بصوت مرتعد :

- لن ترى سيارته أمام منزلي بعد ذلك يا "تروي" .

- أوه ! هل جلب حظي العالي سوء حظ لك ؟

بدا "تروي" متأثرا بالفعل .

تلعثمت في كلامها وسالت الدموع بغزارة :

- نعم .

قال وهو يمد يده لها بمنديل :

- "إيلين" إنني أسف حقا وحزين . حسنا ، يا له من عيد سعيد علينا نحن الاثنان ! إذا كنت أعلم لكنت اتصلت بك وبكينا معا .

قالت منتحبة وهي تمسح دموعها بالمنديل :

- هل فشلت في علاج نفسك ؟

- نعم .

- "راد" قال : إن الرجال حمقى .

صاحت "كاري بث" وهي تدخل إلى الغرفة :

- امي ! امي ! أوشكت "كورتني" أن تمسك سمكة !

تغلب "تروي" و"إيلين" على حزنهما وهرولا إلى الصالون لينقذا السمك من أيدي "كورتني" .

على الجانب الآخر من الشارع كان "راد" ينفجر غضبا في سيارته : إنه يعرف صاحب السيارة "البورش" الواقفة امام منزل "إيلين" .

على الرصيف المقابل اثارت السيارة "البورش" "راد" . لقد كانت موجودة في مكانها هذا عندما وصل في السابعة إلا خمس دقائق .

لقد قضى أسوأ ايام حياته بل إنه أكثر سوءا من تلك الأيام التالية لظهور نتيجة التحاليل التي اجريت له .

لكنه في هذه المرة لا يمكنه اتهام القدر . إنه هو المذنب الوحيد والمتهم . المتهم بالحماقة والأنانية والعجرفة . منذ ساعات طويلة وهو يتفحص شخصيته ، وكل ما وجده بها لم يرق له بالمرة . لقد كره نفسه .

اسوأ ما في الامر هو أن يعرف انه جرح "إيلين" وهذا لن يغفره لنفسه . إنها تحبه ... إنها رقيقة وسخية وجميلة لكنه في المقابل جعلها تبكي . والطفلتان ... إنه يتذكر أن الطفلتين لم تحبا أكل الفطائر المليئة بالزبدة . اقترحت "إيلين" عليهما حينذاك أن يأكلا نصفها لكن هذا لم يرق لـ"كورتني" . إنها تريد فطائر مزينة مثل التي يعرف "راد" طريقة صنعها .

إن الوالد مثل "راد" يفهم مثل هذه الأشياء . إن "إيلين" أم جيدة لكنه - في بعض الحالات - يصبح سيد الموقف مثل استحمام الطفلتين أو قراءة قصة قبل الذهاب إلى السرير . بعد يوم قضياه معا فإن الأم والطفلتين في احتياج إلى وجه جديد . وجه الأب .

القى "راد" نظرة سريعة على ساعته . إنه ينتظر منذ نصف ساعة . ستنام الطفلتان و"تيمون" مازال في المنزل !

تساءل وهو يستشيط غضبا : كيف تجرؤ "إيلين" على دعوة شخص آخر بمنزلها ؟

لابد أن يستعين بكل مخزونه من رباطة الجأش ليمنع نفسه من القفز على المنزل ويطرد "تيمون" منه .

انطلق بسيارته وسلك طريقا فرعيا متجها إلى أطراف المدينة وهو لا يعير اهتمامه بسرعة السيارة .

# # #

عندما نامت "كاري بث" و"كورتني" ظل "تروي" و"إيلين" جالسين بجانب بعضهما البعض امام حوض السمك . ثم اضاءت "إيلين" التليفزيون الذي شاهداه بلا اي انتباه إليه .

قال "تروي" :

– تعرفين أنه من الأحسن ألا تبقي بمفردك عندما تكونين تعيسة.

أشعر الآن أنني بخير . هل يمكننا الذهاب إلى السينما في مساء الغد ثم نتناول العشاء في المطعم ؟

– لا مانع مادمت تريد هذا .

لم يصدمه افتقار "إيلين" للحماس لأنه يشعر بنفس الإحساس .

عاد "راد" إلى الحي قبل الحادية عشرة بقليل . لقد قضى السهرة كلها في الاستماع إلى الراديو بصوت عالٍ . حل الغضب محل الإحباط الشديد .

قال معترفا لنفسه أخيرا : "إنني أحبها وأفتقر إلى الطفلتين . إنني أتحسر على الحياة التي عشناها نحن الأربعة . كنت مخطئا . لقد تصرفت مثل الأحمق تبا لي" !

رأى "راد" على جانب الشارع السيارة "البورش" وفرمل فجأة. "تروي تيمون" قضى السهرة بمنزل "إيلين" ! هل سيقضي الليلة هناك أيضا ؟

إن "تيمون" أحب "إيلين" واعترف بذلك لـ"فانيسيا" . و"إيلين" الآن تشعر بخيبة أمل في حبها . لو كان "راد" في مكانه الآن لاغتنم الفرصة.

انفتح باب المنزل . رأى "راد" – وهو دهش – "تروي تيمون" يخرج وذراعاه حول كتفي "إيلين" .

قال "تروي" :

– عديني بألا تبكي طوال الليل . خذي مهدئا أو اشربي عصيرا أو أي شيء لا يهم لكن نامي !

أجابته "إيلين" :

– لا مهدئ ولا أي شراب . نحن آل "برادي" لا نحتاج إلى هذا . فضلا عن أنه يسيء إلى القلب . لقد تعبت طوال اليوم كله .

– مسكينة يا "إيلين" . كم أود كسر عنق "راد" الذي وضعك في مثل

هذه الحالة !

– شكرا جزيلا يا "تروي" . إلى اللقاء .

رآهما "راد" يتعانقان برقة . ركب "تيمون" سيارته وانطلق بها .

عادت "إيلين" إلى منزلها بخطوات بطيئة . لما كانا مشغولين بنفسيهما فإنهما لم يلمحا سيارة "راد" . يا لها من فكرة مرهقة ! ظل "راد" بسيارته فترة ثم رأى أنوار منزل "إيلين" تنطفئ ثم عاد إلى منزله مرهقا .

عاد "راد" في مساء اليوم التالي بعد السادسة بقليل وقد هدأت نفسه لعدم رؤية السيارة "البورش" واقفة أمام المنزل . رن جرس الباب وانتظر – بنفاد صبر – على عتبة الباب حتى يفتح له أحد .

قالت "ميجين" :

– آه ! إنه أنت ؟ هل كانت "إيلين" في انتظارك ؟

– لا . كنت مارا من هنا .

– آه ؟ "إيلين" غير موجودة هنا . خرجت مع "تروي تيمون" . إنه أنا من يرافق الطفلتين .

ظل "راد" صامتا .

استطردت "ميجين" :

– اتصل تليفونيا في المرة القادمة .

أشعرته لهجة "ميجين" بأنه مثل الغريب وربما أسوأ من ذلك .

قال مفكرا في قرارة نفسه : "كان لابد أن يتوقع هذا . إن بنات آل "برادي" متضامنات معا . لقد جرحت إحداهن وكونت الفتيات الخمس جبهة واحدة ضدي" !

استطاع أخيرا أن يهمس :

– هل يمكنني الدخول ؟ أريد رؤية الطفلتين .

رآها مترددة وصرخ عبر الباب المفتوح قليلا :

- كاري بت "كورتني" ! إنه انا !

اسرعت البنتان وقفزتا عليه .

قضى "راد" وقتا طيبا في اللعب معهما واعتنى بحمامهما وحكى لهما قصة وغطاهما .

تركته "ميجين" يفعل ذلك وهي مترددة بعض الشيء . ثم اقترح عليها ان تعود إلى منزلها وأن تتركه يعتني بهما ولم تدر "ميجين" كيف وافقت ولملمت حاجياتها ورحلت .

جلس على الأريكة مع كومة من الجرائد وانتظر .

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة وخمس دقائق عندما اصطحب "تروي" "إيلين" .

- شكرا جزيلا على هذه السهرة يا "تروي" ...

- لا تتعبي نفسك من أجلي يا "إيلين" . لم تستمتعي كثيرا وانا كذلك لكن كل منا اسدى خدمة للآخر وهذا هو ما سعينا إليه .

تنهدت "إيلين" :

- تعيسان معا ...

قبل "تروي" جبهتها :

- أتريدين أن ادخل معك لحظة ؟

- لا ، شكرا . إنني متعبة . ليست لدي اية مشاكل في النوم هذا المساء .

- أمل ذلك . تصبحين على خير يا "إيلين" .

توجه "تروي" نحو سيارته بينما عادت "إيلين" إلى منزلها حيث تنتظرها صدمة حياتها .

كان "راد" واقفا على باب الدخول وهو يعقد ذراعيه على صدره ومقطبا حاجبيه .

لقد ظل - مدة ثلاث ساعات - يعد مشهد لقائهما متضمنا الكلمات

والحركات المقنعة . عندما ظهرت "إيلين" جعله جمالها صامتا . لم يعد يرغب إلا شيئا واحداً وهو أن يضمها بين ذراعيه ويطلب سماحها .

بدت المراة دهشة عندما راته فقد كان اثر رؤيته عليها مثل اثر الدش البارد .

- ماذا تفعل هنا ؟

تصرف "راد" مثل الحيوان الجريح .

- آه ! إنك لا تضيعين وقتك في استدعاء هذا الـ"تيمون" ! هل من الملائم ان تحتفظي بمعجب قديم يقف منتظرا خلف الكواليس؟

قالت "إيلين" لنفسها : "لقد عاد "راد" القديم إلى نفسه مرة أخرى" .

صاحت "إيلين" فيه بلهجة حازمة :

- كل منا له طريقه يا "راد" . هل تاتي إلى هنا لتقضي بعض الوقت عندما ترغب في ذلك ؟ حسنا . لا تعتمد علي في هذا إذا كانت هذه فكرتك .

- لكن إذا اتيت مع خاتم ام جدتي وطلبت منك الزواج فلن تشمئزي ، اليس كذلك ؟

اجابته وقد كستها الحمرة :

- لا أخجل من رغبتي في موقف دائم ومحدد في نظر جميع الناس . يا له من موقف مخجل ان تقضي الليلة هنا ثم تنصرف !

قالت "إيلين" في قرارة نفسها : "وماذا بعد ؟ تتركني اقضي الليل كله وقد نال الأرق مني وأظل أسال نفسي عما إذا كنت ستعود إذا كانت لديك النية .

لم تعد "إيلين" تحتمل فكرة أن تمثل شيئا ثانويا في حياته بعد أن عاشا معا .

سالها بصوت مخنوق :

- تريدينني إذن أن انصرف ؟

عانت "إيلين" نفسها كثيرا لمجرد تفكيرها في سؤاله . هزت رأسها في صمت .

قال "راد" بلهجة فظة :

- رغبات السيدة أوامر .

# # #

اقترب يوم ٣١ ديسمبر . عزمت "إيلين" على قضاء سهرة هادئة مع طفلتيها والصغيرة "كاثرين" حينما يسهر أخواتها مع بعض أصدقائهن .

نظم كل فرد في آل "رامزي" سهرته على مزاجه ومن ضمنهم "راد" . حاولت "إيلين" الا تفكر فيه . لقد كان الأسبوع الماضي شاقا جدا . إنها لم تتوقع بالتأكيد أن يعود إلى منزلها بعد الكلمات الفظة التي تبادلاها لكنه في اليوم التالي اتصل بها وطلب السماح له بالمرور لرؤية الطفلتين .

كيف ترفض ؟ إنهما افتقدتا "راد" مثلما افتقدته هي الأخرى . لقد مر الفطور عليهما بشكل مرير لان "كاري بث" و"كورتني" أصبحتا لا يطاقان حيث يطالبان بـ"أبيهما" دواما في المساء . لقد وافقت "إيلين" إذن على مجيئه .

رحل "راد" بعد العشاء . لقد لعب مع الطفلتين وظل معهما حتى ناما . مر اليوم التالي على نفس الوتيرة وكذلك كل أمسيات الأسبوع . إنه يتصرف كما لو كانت "إيلين" غير موجودة بالمنزل ولم يكن من السهل تقبل هذا في منزل صغير مثل منزلها .

دهشت المرأة كثيرا لقدومه يوم الحادي والثلاثين من ديسمبر وهو في كامل أناقته . أطلقت "كاري بث" و"كورتني" صرخات السعادة

وجذباه إلى حجرتهما لكي يلعبوا . ظلت "إيلين" في حجرتها وهي تحمل الصغيرة "كاثرين" بين ذراعيها .

منذ يومين اجتاحها قلق حقيقي فقد كانت تخشى أن تكون قد أصبحت حاملا حيث ظهرت كل الأعراض الدالة على ذلك . إنها المرة الثالثة التي تحس فيها بنفس الأعراض - هناك فرصة بسيطة في وقوعها في الخطأ .

قال "راد" الواقف على عتبة حجرتها :

- إنني ذاهب . أخبرتني "كاري بث" و"كورتني" أنه مسموح لهما بالسهر اليوم .

- نعم . حتى الثامنة والنصف أو التاسعة .

قال مكررا :

- عظيم ... إنني ذاهب .

سألته وهي تتصنع عدم المبالاة :

- أهناك سهرة الليلة ؟

- نعم ... ألم يأت "تيمون" هنا ؟

كان "تروي" يحتفل بالسنة الجديدة مع بعض أصدقائه لكن "إيلين" لم تستطع الاعتراف لـ"راد" بهذا . لكنها مع ذلك لا تريد أن تكون وحيدة في ليلة مثل هذه الليلة .

أجابته :

- سيأتي فيما بعد .

قال لها وهو يرحل :

- آه ؟... حسنا . عمت مساء !

اعتقدت "إيلين" أن "راد" يتعجل اللحاق بأصدقائه . إنه حتى لم يكلف نفسه بتمني سنة سعيدة لها . أحست "إيلين" أن عينيها تمتلئان بالدموع .

دخلت "كاري بت" و"كورتني" حجرتهما .

قالت "كاري بت" :

- أنا و"كورتني" نحب "كاثرين" . إنها أيضا تحبنا ! انظري إنها تبتسم لنا .

قالت "كورتني" :

- طفلة جميلة .

نظرت "إيلين" إلى وجوه الصغار الثلاثة المبتسمة والمتوجهة إليها.

تساءلت "إيلين" وقد انقبض قلبها "يا إلهي ماذا سأفعل" ؟

في أثناء هذا الوقت كان "راد" يقود سيارته دون أن يتوقف أمام المنزل المدعو فيه . لم يرغب في السهر .

عاد إلى منزله وخلع رابطة عنقه وفك أزرار كميه وأضاء التليفزيون وألقى بنفسه على الأريكة .

الفصل الحادي عشر

قرأت "إيلين" للمرة الثالثة صيغة اختبار الحمل . لقد قرأتها - دون شك - كما هي مكتوبة بالضبط وكانت نتيجة الاختبار إيجابية. إنها حامل .

قاومت "إيلين" الرغبة في الجري إلى "شارون" لتحكي آلامها لها كما تفعل دائما .

على الرغم من أن عمرها يقل عن "إيلين" بأربعة أشهر فإن "شارون" قد تزوجت وأصبحت ربة أسرة ولديها من الأعباء ما يكفي ومن ثم فلا داعي لأن تثقل كاهلها بمشاكلها الخاصة .

من المنطقي جداً أن تناقش هذا الأمر مع "راد" لكنها ترغب في البداية في التحقق من بعض الأمور . سيرفض الدكتور "دوبلارا" - بالتأكيد تحت شعار المحافظة على أسرار المريض - أن يحدثها عن نتائج تحاليل "راد" . لم يعد أمامها سوى "بيريل جيفري" .

تذكرت "إيلين" أن آل "جيفري" يقطنون "لبوك" في ولاية "تكساس" .

حصلت على رقم تليفونها من الاستعلامات التليفونية . رفعت "بيريل" السماعة بعد الرنة الثالثة . قدمت "إيلين" نفسها إليها .

قالت "بيريل" :

- آه ! إنني أتذكرك . أنت زوجة "راد" . هل هناك شيء يمكنني تقديمه لك ؟

- هذا ما أبغيه بالفعل ... إنني حامل . طرحت على نفسي عدة أسئلة ... لم يحدثني "راد" كثيرا عن نتائج التحاليل التي أجريت له .

تعجبت "بيريل" :

- أفهم أن هذا أصابك بالحيرة . وأفهم أيضا سبب رفض "راد" التحدث عنه . لقد ثبت مرتين قبل ذلك أن نتائج الاختبارات غير صحيحة . لابد أن ذكرى هذا الوقت العصيب تجعله يستشيط غضبا .

لم تستطع "إيلين" أن تخبرها بالحقيقة واكتفت بأن تسألها :

- ولكن ماذا قال الأطباء بالضبط ؟

- لم يقولوا له : إنه عقيم . أخبروه فقط أن فرصة أن يصبح أبا ليست كبيرة . لم يدرك "راد" الفرق . لكن هناك شيء آخر ... أثبتت تحاليلي ... آه كان هذا منذ فترة طويلة وقد جعلنا تعيسين جدا !

قالت "إيلين" مصرة :

- أنا متأسفة لكن كان حقيقة لابد أن أستفهم .

- أقدر هذا . لكن كان هناك تنافر طباع بيننا . بدا لي مستحيلا أن أنجب من "راد" لكن أية امرأة أخرى يمكنها أن تحمل منه . هذا ما لم أخبر "راد" به . كنت مثل المجنونة ! جعلته يعتقد أنه المسؤول الوحيد.

تذكرت "إيلين" فجأة عبارة كانت "بيريل" قد نطقتها في المركز التجاري: "إن رؤيتكما معا ومعكما الطفلتان انتزع عبئا ثقيلا من على قلبي" .

واصلت "بيريل" حديثها بنبرة سعيدة :

- وانتهى الأمر بالخير لكل واحد منا . عثرت أنا و"راد" على السعادة وكون كل منا أسرة . أتريدين ولدا في هذه المرة ؟

همست "إيلين" :

- الأمر سواء عندي . كل ما أريده هو طفل يتمتع بصحة جيدة.

- إنك محقة بالفعل . لنبق على اتصال يا "إيلين" . لنتصل ببعضنا البعض ونكتب أيضا من وقت لآخر . اتفقنا ؟

تبادلت الاثنتان بعض العبارات وكررت "بيريل" تهانيها وأمانيها بحظ سعيد لـ "إيلين" ووضعت السماعة .

ظلت "إيلين" تفكر لحظات طويلة . إنها تحتاج إلى حظ كبير لتواجه الساعات القادمة . إنها تحتاج إلى الحب . حب "راد" .

\# \# \#

اتصل "راد" بها من مكتبه ليسألها إذا كان في إمكانه أن يمر في المساء لرؤية الطفلتين .

أجابته "إيلين" :

- نعم . هل يمكنك أن تبقى لحظات بعد أن يناما ؟ لدى شيء أود أن أخبرك به .

- هل تشعرين بأي شيء ؟ الطفلتان ...

- إنهما بخير يا "راد" . إلى اللقاء .

وصل "راد" في اللحظة التي كانت "إيلين" تتأهب فيها للعشاء مع طفلتيها . أعجبت "إيلين" بمظهره وأناقته . كان يرتدي بدلة مكونة من ثلاث قطع . كان يجسد صورة الرجل الذي أحبته وصورة أب لطفلها القادم .

تلعثمت قائلة :

- لم اتوقع ان تاتي مبكرا هكذا .

- عفوا . يمكنني المجيء فيما بعد .

تساءلت "إيلين" بحزن عما اوصلهما إلى هذا الحد . كيف وصلا إلى هذا الأدب المتزايد بينهما وهذا الارتباك السائد بينهما ! لقد كانت تفضل صرخات او حتى تلميحات خادعة بشان "تروي" . اي شيء افضل من هذا البرود الذي لا يطاق !

- لا ... ابق للعشاء . ستفرح الطفلتان بوجودك .

قضت فرحة "كاري بت" و"كورتني" على التوتر السائد . كان لابد على "راد" ان يلعب مع الطفلتين بعد انتهاء العشاء حينما كانت "إيلين" تنظف المطبخ . ثم بدا كل شيء طبيعيا مع طقوس القصة القصيرة التي يحكيها للطفلتين توسلت "كورتني" إليه عندما مال عليها ليقبلها:

- ابق يا أبي !

سالت "كاري بت" :

- هل انتهيت من كل عملك ؟ هل يمكنك العودة إلى المنزل الآن ؟

أجابتها "إيلين" :

- لا يزال لديه عمل يا "كاري بت" .

عندما عادت هي و"راد" إلى الصالون وجلسا وجها لوجه قالت المرأة مفسرة :

- إنهما تعتقدان انك مشغول وانك تنام في المكتب . هذا هو كل ما استطعت ان اقوله .

- إنني افتقدهما جدا . إنه شعور متبادل ، اليس كذلك ؟

أومات بإشارة من راسها .

- "إيلين" . لقد فكرت كثيرا في الأوقات الأخيرة .

تلاقت نظراتهما . بدت "إيلين" مذعورة . لم يفهم "راد" السبب .

- لكن لديك شيء تقولينه لي ... هيا اخبريني به .

قالت بعد ان اخذت نفسا عميقا :

- "راد" ، لا أعرف ماذا اقول لكن ... إنني حامل يا "راد" .

انتظرت إجابة "راد" بمزيج من الهدوء والقلق وعيناها مصوبتان عليه .

نظر إليها ولا يبدو على وجهه اي تعبير . شعرت "إيلين" بالخوف. ارغمت نفسها على مواصلة حديثها :

- لقد تاكدت من ذلك اليوم . لكن منذ عدة ايام وانا ...

قاطعها ببرود :

- لماذا تخبرينني بكل هذا ؟ هذه التفاصيل تهم "تيمون" اكثر مني !

قالت متذمرة وبخوف :

- "تروي" ؟ اوه ، كلا . انت والد الطفل يا "راد".

- ليس مجديا أن تلعبي هذه اللعبة معي يا "إيلين" . هذا غير صحيح . لدي شهادة طبية تنفي هذه التهمة عني وتعرفين ذلك .

كانت تريد أن تصرخ وتبكي لكن الاضطراب جعلها متسمرة في مكانها .

استطرد "راد" :

- ماذا حدث ؟ هل اخبرت "تيمون" وطردك ؟ او انك قررت التسلط على آل "رامزي" ؟ اموال كثيرة ومركز اجتماعي مرموق . كل هذا يستحق المحاولة . لقد تمكنت "شارون" من ذلك فلماذا لا تحاول "إيلين" هي الأخرى ؟

توسلت إليه قائلة :

- ارجوك استمع إلي ! لم تثبت نتائج التحاليل قط انك عقيم لكن ...

صاح "راد" :

- يا لك من ...! لقد خدعتني بشخصيتك الملائكية والبريئة ! لكنك لن

تكسبيني بهذا الفخ اللعين !

- "راد" ، فكر بالأمر ، أرجوك : كل صديقاتك كن يأخذن احتياطاتهن دائما ، أليس كذلك ؟

- بالتأكيد ! لكني لم أحك لهن أن هذا لا جدوى منه ... أنت الوحيدة التي تجرأت وبحت لها بالحقيقة . آه ! يا لحماقتي !

قالت "إيلين" في قرارة نفسها : "إذا حكيت له عما اعترفت به "بيريل" لي فإنه لن يصدقني . إنه يكرهها مثلما يكرهني الآن" .

ظهرت ابتسامة حزينة على شفتيها ولاحظها "راد" وفسرها على هواه :

- اضحكي يا "إيلين" كما تشائين لكن سيضحك أكثر من يضحك أخيرا . لست محبطا من عاهتي لدرجة أن أبتلع هذا الطعم . هل كنت تتوقعين أن ألبسك خاتم جدتي وأن أصطحبك على الفور لعقد الزواج ؟

أحس "راد" بثقل علبة الخاتم في الجيب الخلفي لبنطلونه . كان يحب أن يركله بقدمه أو أن يلقيه في صندوق القمامة . إنه لن يمنح "إيلين" الرضا بأن يخبرها بأنه أتى ليلبسها الخاتم ويطلب الغفران منها . إذا كان تحدث هو الأول لكانت قد ارتدت الخاتم وتم الزواج بينهما ثم تعترف له بحملها وسرعان ما يجد نفسه مع خطيئة "تيمون" بين ذراعيه ! اندفع خارجا من المنزل .

# # #

كانت "إيلين" تفتش في ألبوم الصور والطفلتان تحيطان بها . لقد مرت ثلاثة أيام منذ أن أخبرت "راد" بحملها ومن وقتها لم يظهر أو يأت إلى منزلها . لم تكف الطفلتان عن السؤال عنه في كل لحظة حتى إن "كاري بت" اقترحت أن يذهب ثلاثتهن للإقامة بالمكتب معه مادام لا

يخرج منه .

فعلت كل ما في وسعها حتى يمكنها تسلية طفلتيها . كان ألبوم الصور وسيلة جيدة لذلك ولأنهما تحبان مشاهدة صورهما .

صاحت "كورتني" :

- أنا ! أنا !

قالت "كاري بت" وهي تشير إلى صورة :

- وهذه صورتي عندما كان عمري سنتين مثلك يا "كورتني" .

كانت هذه الصور تثير ذكريات مؤلمة . لم تبق "إيلين" مع "شارلي راي" إلا لأنها كانت تنتظر "كاري بت" و... الخوف بعد ذلك ! لكن هاتين الطفلتين أسعدتاها حيث كانت تربيتهما شيئا عظيما وممتازا . إن ما ربطها بال "رامزي" هو الطفل الثالث الذي حملت فيه دون إرادتها .

إنها ليست متزوجة والأب يتبرأ من مسؤوليته عن هذا الطفل . يا لها من ورطة !

لحسن الحظ إنها لا تحتاج إلى المال في هذه المرة . يمكنها أن تعيش مرتاحة مع ذريتها ومواصلة دراستها . لكن أين ؟ يستحيل أن تبقى بـ"هوستون" . سيلاحق الخزي المتعلق بموقفها أخواتها . إنها ستذهب للإقامة في مدينة أخرى وتدعي أنها مطلقة وتنتظر ولادة الطفل بعيدا عن الأقاويل . ربما يمكنها بعد ذلك العودة ...

صاحت "كاري بت" وهي تجري نحو النافذة لتشير إلى الرجل القادم.

- إنه "تروي" !

أسرعت "كورتني" وفتحت الباب .

قالت "كاري بت" :

- انظري يا أمي . أحضر لنا أسماكا أخرى .

كان "تروي" يمسك بين ذراعيه حوض السمك الخاص به .

- الاسبوع القادم . لأول مرة أشعر بانني ... حر .

- كن حذرا يا "تروي" . لا تخاطر بنفسك بلا جدوى واكتب لنا .

- أعدك بهذا . تربطنا صداقة حميمة يا "إيلين" .

سالت الدموع على خدي "إيلين" حينما رأته يبتعد نحو سيارته .

سألتها "كاري بث" وهي تجذبها من تنورتها :

- لماذا تبكين يا أمي ؟

مالت "إيلين" عليها وداعبت شعرها .

- لا شيء يا حبيبتي . اشعر بانني وحيدة من وقت لآخر .

- بسبب ابي أو بسبب "تروي" ؟ انا ايضا اشعر بانني وحيدة بسبب قطي الصغير الذي لا اجده . اشتري لي واحدا يا أمي .

صاحت "إيلين" وهي تنفجر ضاحكة :

- اوه يا عزيزتي ! ماذا سافعل بدونك ؟

الفصل الثاني عشر

بعد أن عاش خمسة أيام وأربع عشرة ساعة في النار عاد "راد" إلى المكتب . لم تعرفه "ليندا" سكرتيرته في البداية . لقد كان يبدو مثل قاطع الطريق بشكله المتسخ وذقنه غير الحليق والهالات الموجودة حول عينيه والبنطلون الجينز البالي الذي يرتديه والبلوفر المبقع .

صاح "سلاد" وهو داخل إلى الغرفة :

- تبا لك يا "راد" ! هل وقعت في صندوق قمامة ؟

هز "راد" كتفيه دون أن يجيبه .

قال "سلاد" مصرا :

- هل أنت مريض ؟ لقد اتصلنا بك في منزلك أكثر من ست وثلاثين مرة لكن لم يجب أحد . أين كنت ؟

- هذا لا يعنيك .

استطرد "سلاد" :

- هناك شيء لا أفهمه . أعتقد أنه حدث شيء بينك وبين "إيلين" ثم تذهب وتختفي للنزهة . لابد أنها فتاة لذيذة ومحبوبة ...

- محبوبة . آه . نعم . يمكنك أن تقول هذا !

- لنر ذلك . ماذا حدث ؟

- صحيح أنها كادت أن تتملكني . لكن بالنسبة للتفاصيل فاطلبها من زوجتك . لا يوجد أسرار بين فتيات آل "برادي" .

- في هذه المرة يوجد سر فـ"شارون" مضطربة أيضا . كانت "إيلين" - كعادتها دائما معها - تحكي لها كل شيء لكن لم يحدث هذا حتى وقتنا هذا . إنها ترفض التحدث ولهذا أسألك : ماذا فعلت بها ؟

- لماذا لا تسأل "إيلين" عما فعلته هي بي ؟

قال "سلاد" منفجرا :

- لا يمكنك توقع أي شيء من "إيلين برادي" ويا لك من أحمق إذا لم تدرك ذلك !

دخل "جاد" في هذه اللحظة وظل فاغرا فمه أمام شكل "راد" الذي قال:

- أعلم ما ستقوله : يبدو علي أنني وقعت في صندوق قمامة . لقد قالها لي "سلاد" قبلك . لكن دعني وشأني !

قال "جاد" مستفهما :

- ماذا يحدث لي هذا الصباح ؟ مررت حالا على "فانيسيا" لألقي عليها تحية الصباح وكادت أن تقتلع عيني . والآن جاء دور "راد" !

أكد "سلاد" له :

- ما حدث ليس بسببك . بالنسبة لـ"راد" فإن "إيلين" السبب أما بالنسبة لـ"فانيسيا" فـ"تروي تيمون" هو السبب .

- سيرحل للإقامة بـ"نيويورك" ومن ثم فـ"فانيسيا" ساخطة .

رأى "سلاد" و"چاد" اخاهما يندفع بسرعة خارج الغرفة ودهشا لذلك .

يا له من جبان لأن يتخلى عن "إيلين" بعد أن جعلها حاملا منه ! يا له من شخص حقير ! للمرة الثالثة تجد "إيلين" نفسها حاملا من شخص مجنون وغير مسؤول ! ستصبح بمفردها مسؤولة عن اسرة مكونة من ثلاثة اطفال .

لابد أن الطفل الثالث سيصبح صورة بالكربون من آل "برادي" أو "تيمون" ... لما وصل "راد" إلى منزل "إيلين" ركن سيارته وظل يفكر لحظة وهو ممسك بعجلة القيادة .

لقد كانت حياته فارغة وليس لها اي معنى . لكنها تغيرت إلى الأحسن مع "إيلين" والطفلتين . لكن لماذا لا يحب الطفل الثالث مثلما أحب أختيه ؟

حاول أن يتخيل الفزع الذي لابد أن تحسه "إيلين" عندما اخبرها "تيمون" برحيله إلى "نيويورك" . يا لها من مسكينة ! لما احست بالفزع فربما لجأت إلى هذه الحيلة للإمساك بـ"راد" . امراة شابة مع ثلاثة أطفال بدون أب ... كان ينبغي عليها الا تكذب . لقد فقدت رشدها . لكن "راد" الذي لجأت إليه وحده ليساعدها .

يكفي أن يتزوجها ويعترف بابوته للطفل . سيتبنى "كاري بث" و"كورتني" وسيعيشون جميعا في سعادة .

نزل من سيارته وجرى نحو المنزل .

قال لـ"إيلين" عندما فتحت له الباب :

- أريدك أن تعرفي شيئين : اولا انا اسامحك . ثانيا انا قررت الزواج بك !

نظرت "إيلين" بدهشة إلى الشخص الأشعث الواقف امامها ويحدثها عن الزواج بعينين زائغتين .

- "راد" !

سألها وهو يدخل إلى المنزل :

- أين الطفلتان ؟

- لقد دعتهما "شارون" . كنت أوشك أن آخذ قسطا من الراحة.

قال وهو يشير بإصبعه إلى الهالات الموجودة حول عينيها :

- يبدو عليك انك منهكة . انا آسف لانني ايقظتك .

- من الطبيعي أن أبدو متعبة في بداية الحمل . اشعر بتحسن بعد الشهر الثالث . أسوأ ما في الحمل هو الأسابيع الأخيرة .

همس وهو يلمح إلى أعلى مبنى في "هوستون" وإلى "تروي تيمون" ايضا :

- كنت أود أن ألقي هذا الحشرة من أعلى البرج التجاري . يهرب إلى "نيويورك" ويتركك في مثل هذه الحالة . يا له من امر لا يمكن تصوره ولا يمكن غفرانه ! يستحق "تيمون" أن يموت شنقا !

- آه ! لقد نسيت إصرارك الدائم على نسب ابوة الطفل إلى "تروي تيمون" .

دهش "راد" من جفاف صوتها .

- وأنت لاتزالين مصرة على الإنكار ؟

- نعم ، إنه طفلك يا "راد" .

تلاقت نظراتهما لحظة طويلة . كم كانت تود أن تلقي بنفسها بين ذراعي "راد" .

اجابها :

- إنه ليس طفلي من الناحية الطبية . لكنني موافق على أن اكون والده ووالد أختيه . قلت لك : إنني أريد الزواج بك يا "إيلين".

لماذا لم تسعدها كلماته ؟ ألم تكن تحلم بالزواج به ؟ لقد نزل عليها

هذا العرض الفظ مثل الدش البارد .

سالته :

– لماذا تتزوج بامراة اصبحت حاملا من رجل آخر وفقا لكلامك؟ لماذا تتزوج بامراة تعتقد انها خائنة لدرجة انها تكذب عليك في موضوع جد خطير ؟

– سؤال عظيم يا "إيلين" . ها هي إجابتي : لقد قضينا اياما سعيدة معا ، ايرضيك هذا ؟ استهجنت كذبتك لكنني اقدر السبب الذي جعلك تفعلين هذا وسامحتك .

– يا لك من رجل كريم !

– إذا تزوجنا فساتصرف على اساس ان يعتقد الجميع انني والد الطفل . ساتبنى طفلتيك وساعامل ثلاثتهم كانهم أطفالي .

اجابته "إيلين" المنهارة اكثر من كونها غاضبة :

– لا اشك في ذلك لحظة واحدة .

– حسنا ... لنتزوج !

اخرج "راد" من جيبه – وهو يبتسم – العلبة التي يحملها معه منذ اسابيع . فتحها واخرج منها خاتما مدهشا مرصعا بالياقوت والزمرد. قبل ان يمنحها الوقت لتعترض كان "راد" قد البسها الخاتم في اصبعها .

في وقت ما كانت على استعداد لان تدفع عمرها ثمنا لهذا الخاتم . لكن هذا الوقت قد انقضى . خلعت "إيلين" الخاتم واعطته إلى "راد" .

– لا . شكرا يا "راد" . لن اتزوجك .

– كيف ؟

– اعلم انه زواج فاشل ولا اريد تكرار تجربتي السابقة .

– اتقارنيني بهذا الخسيس "تيلر" ؟ هيا احتفظي به ولنتزوج !

اجابته وهي تهز راسها :

– لا . افضل انتظار الطفل بمفردي وذلك احرى من الزواج برجل لا يحبني ولا يثق بي .

– تبا لك يا "إيلين" ! ماذا تنتظرين مني ؟ الا يكفي ادعائي بابوة هذا الطفل ! إن فرصتنا الوحيدة هي أن نكون صريحين معا.

– إنها بلا امل يا "راد" . ترفض الاعتراف بانك والد الطفل وانا اصر على كونك والده !

– يا لك من حمقاء ! ترين إنها فرصة بلا امل !

جذبها إليه وقبلها وتهاوت الأرض تحت قدميها حينما استسلمت لقبلته .

انفتح الباب بقوة حينذاك . تسمرت كل من "كاري بث" و"كورتني" و"شارون" التي تحمل "كاثرين" بين ذراعيها على عتبة الباب . اسرعت "كورتني" نحو "راد" وتمسكت برجله .

– انا أيضا بين ذراعيك !

ابتعد "راد" و"إيلين" عن بعضهما البعض.

قالت "شارون" :

– انا متاسفة .

مال "راد" واخذ "كورتني" بين ذراعيه .

استطردت "شارون" :

– لم تكف "كاثرين" عن البكاء ورغبت "كاري بث" و"كورتني" في العودة.

اجابتها "إيلين" :

– احسنت صنعا . ساساعدك على تهدئتها . اعطها لي .

سالت "كاري بث" المنزعجة من قضاء اليوم مع طفلة تصرخ دوما :

- هل يمكنني انا و"كورتني" مرافقتك إلى مكتبك يا والدي ؟

تدخلت "إيلين" :

- لا . إنني أحتاجك . "راد" اعتقد انه من الافضل ان ترحل .

وضع "كورتني" على الأرض وانصرف دون أن ينطق بكلمة . لقد طردته "إيلين" . لكنه مع ذلك أحس بان هناك من يحتاجه وخصوصا عندما سمع الصرخات المتعالية من خلف الباب المغلق !

عاد إلى مكتبه ببطء . لقد ترك الغضب مكانه لمزيج من الوهن والحيرة . ماذا حدث إذن ؟ لماذا تكابر "إيلين" وتصر على كلامها ؟

ماذا يفعل أيضا لكي يقنعها ؟

خطرت فكرة بباله حينما كان يتفحص بعض المشروعات الموجودة أمامه .

كانت فكرة مدهشة ظلت تطارده : هل يمكن أن يكون والد الطفل حقا؟

لم تكن "إيلين" كاذبة أبداً . إنه يتذكر السخاء والبساطة اللتين كانت تتعامل بهما مع المحتاجين في مركز الإعانة .

ثم إذا كان "تيمون" اقام علاقة معها فهذا لم يكن يحدث إلا في ليلة رأس السنة وفي هذه الحالة لم تكن تكتشف هكذا مبكرا انها حامل.

رفع "راد" بيده الرطبة سماعة التليفون واتصل بالدكتور "دوبلار" الذي كان واضحا جداً معه حتى إن تشخيصه اخترق عقل "راد" مثل السهم النافذ .

- لم يكن يمكنك انت وزوجتك الأولى إنجاب أطفال إلا بمعجزة .

لكن إذا تزوج كل منكما بآخر فقد ...

- بالضبط . اعتقد أن زوجـ .. أن صديقتي حامل .

صاح الدكتور دهشا :

- عظيم ، أرأيت ! لك تهنئتي . إنني سعيد من أجلك حقا .

وضع "راد" السماعة وامسك رأسه بين يديه . لقد شعر بالحيرة . لقد خلق هو و"إيلين" كل واحد منهما للآخر حتى إنه يمكنهما إنجاب طفل على الرغم من العجز الذي يعانيه ! لقد شفي إذن سيصبح أبا ! شعر بسعادة جمة ... تبعها عن قرب وشعر بإحباط لدى تذكره كل الآلام التي سببها لـ"إيلين" .

في هذه اللحظة دخلت "فانيسيا" إلى مكتبه .

- "راد" . لابد حتما أن أتحدث إليك .

قال متذمرا :

- ليس الآن ، أرجوك .

- اسمع إذن ! تناولت الغداء مع "ماليندا هربر" . لن تتصور ما قالته لي .

- ثرثرة فارغة على أحد رفقائكن . لا يهمني هذا كله .

فجرت "فانيسيا" المفاجاة حينذاك :

- اسمع إذن ! يبدو أن "تروي تيمون" رجل شاذ ! أكدت "مالبندا" انها شكت في ذلك منذ فترة طويلة وانا التي ... آه ! إنني ساجن من الغضب !

أحس "راد" بان شيئا يشبه الانفجار يحدث بداخل رأسه .

استطردت "فانيسيا" :

- وفقا لكلام "مالبندا" فإن "إيلين برادي" على علم بمرضه . وأنا التي لم يخبرني أحد حينما ...

قال "راد" متذمرا وهو يفكر في كل اتهاماته لـ"إيلين" التي لم تخن صديقها أبداً :

- هذا مدهش !

اقتربت "فانيسيا" ووضعت يديها على كتفي "راد" ثم قالت :

- عظيم جدا أن أراك تتعاطف معي في آلامي . شكرا يا "راد".

لم يكن "راد" يسمعها حيث كان مشغولا في أفكاره .

واصلت "فانيسيا" حديثها :

- إذا علم "جاد" هذا الخبر فإنه لن يتركني أعيش في سلام دقيقة واحدة ! وأمي ؟... لقد كدت أرثي حال أم "تروي" .

قال "راد" محدثا نفسه : "هذا صحيح . المسكينة ! الآباء المساكين والأطفال المساكين الذين تقربهم وتباعدهم الإحباطات والحب ! من أنا حتى أحكم عليها وعلى ابنها ؟" .

سألها فجأة :

- لماذا تحدثينها عن ذلك ؟

- أتعتقد أن هذا عيب ؟

- لا أعلم ... تبا لك يا "فانيسيا" . هل رأيت قبل ذلك رجلا شاذا يقود عربة "بورش" ؟ هذه سخافة . أليس كذلك ؟

صاحت "فانيسيا" بعد لحظة من التفكير :

- إنك على حق . سأخبر "ماليندا" بهذا عندما تتحدث بسوء مرة أخرى عن "تروي" .

لما هدأت بعض الشيء تركت أخاها مع أفكاره .

تساءل "راد" : من أين أتته الشهامة بشأن "تيمون" ؟ لابد أنها أتت من أحاسيسه تجاه "إيلين" . لقد جعلته سخيا وغير مبال بالنميمة . حسنا ! لكن ذلك لا يمنع أنه تصرف بحماقة عندما عذب المرأة الوحيدة التي أحبها . كيف يصلح خطاه ؟

فكر عدة لحظات . ارتسمت خطة في رأسه . بما أنه كان يحتاج إلى مساعدة نهض بقفزة وخرج من مكتبه واجتاز الدهليز ودفع الباب دون أن ينتظر الطرق على الباب .

- أبي ! أحتاج إلى مساعدتك .

نظر "كونتين رامزي" إلى ابنه بدهشة .

- يا ولدي المسكين ماذا بك ؟

- أحتاج إلى مساعدتك .

لم يكن من عادات آل "رامزي" أو عادات "راد" نفسه أن يطلب المساعدة.

استفهم "كونتين" من ابنه بجدية :

- ماذا حدث ؟

- "إيلين" حامل وأنا ارتكبت حماقة كبيرة .

# # #

كان المنزل هادئا . توقف صراخ "كاثرين" بعد نومها العميق . وافقت "كاري بث" و"كورتني" على نوم فترة القيلولة بعد الغداء لتعبهما . اغتنمت "شارون" و"إيلين" هذه اللحظات وجلستا أمام قدحين من الشاي. أطلقت "شارون" صرخة إعجاب لما لاحظت فجأة خاتم "إيلين" التي قالت لها :

- سأعيده إليه . وضعته في إصبعي خوفا من أن يضيع حتى أرده إليه .

- تردينه لماذا ؟ "إيلين" ماذا حدث بينكما ؟

حكت "إيلين" لها كل القصة .

تعجبت "شارون" :

- يا له من أحمق ! إنك في ورطة يا "إيلين" : أي فرد من آل "رامزي" لا يعترف أبدأ أنه أخطأ وأنت لا يمكنك إيجاد أب آخر لهذا الطفل .

قالت "إيلين" :

– لكن التحدث معك بشان هذا الموضوع جعلني ارى الأمور على حقيقتها .

تعرفين آل "رامزي" و"راد" بالأخص ولك ان تتخيلي مالابد ان تكبده بالمجيء إلى هنا ليعرض علي الزواج في حين انه مقتنع انني قد حاولت خداعه !

– هذا صحيح . لكنه مدهش حقا ! ونظرته كذلك التي يلقيها عليك تشبه نظرات المحب الولهان ! ربما لا يدرك هو ذلك لكن سلوكه يشبه حقا سلوك الرجل الولهان . وإذا كان يحب طفلتيك فهذا لانه يحبك .

– اقترح علي أن يتبناهما .

– حسنا . هكذا لم يضع اي شيء !

– كان يمكنني أن اتزوجه ثم عندما اصبح حاملا مرة اخرى كان لابد عليه أن يعترف بالحقيقة !

– "إيلين" ! أجد صعوبة في تصديق كونك حاملا مرة ثالثة . لا تبدئي في حمل الرابع على الفور .

قبلت كل منهما الأخرى وهما تبكيان وتضحكان في نفس الوقت.

– نحن اختان وستصبح سلفتين في نفس الوقت وسينطبق نفس الحال على اطفالنا فسيصبحون اولاد عمومة وخؤولة . سنصنع موكبا لصغار آل "برادي" .

اوقفهما عن الحديث رنين جرس الباب .

قالت "إيلين" :

– مازال الوقت مبكرا على حضور "كولين" او "ميجين" . من يكون هذا؟!

أسرعت الاثنتان نحو الباب وظلتا فاغرتي الفم : كان "كونتين رامزي"

واقفا على عتبة الباب وبندقية على كتفه وخلفه "راد" المرتبك والقس في ردائه الأسود . أجبر ثلاثتهم المراتين على التراجع ودخلوا الصالون .

سال القس :

– من العروس ؟

أجابه "راد" وهو يمسك يد "إيلين" .

– تلك المراة .

قال "كونتين" وهو يرفع سلاحه :

– عزيزتي "إيلين" عندما اخبرني هذا الولد انه اوقعك في ورطة أدركت ضرورة تدخلي . علاوة على أن ما تحملينه في بطنك هو حفيدي !

قالت "شارون" :

– وقررت حينذاك التعجيل بالامر "زواج تحت تهديد السلاح" !

بادرها "كونتين" بقوله :

– شرف آل "رامزي" في خطر .

قال "راد" وهو ينظر في عينيها :

– أحبك يا "إيلين" . أرجوك ، لنتزوج حالا !

اقترحت "شارون" :

– ولتاخذا إجازة بضعة ايام . ساعتني انا و"سلاد" بالبنتين .

وضع "راد" يده برقة على بطن "إيلين" وهمس :

– طفلي ... لقد عرفت الحقيقة الآن يا "إيلين" . هل يمكنك أن تسامحيني؟

اجابته وهي تضع اصابعها على شفتي "راد" :

– كيف لا يمكنني ذلك ؟ بعد كل ما كنت تعتقده سامحتني انت ايضا في هذا الصباح يا "راد" . اوه ، لا تخجل ! مالا يمكنني تحمله . هو أن

أرى رجل آل "رامزي" وضميره يعذبه . لا تفكر فيما مضى فقد انتهى .
إنني احبك يا "راد" .

قبلها "راد" قبلة رقيقة تنم عن وعده بحبه الأبدي .

قالت "شارون" :

لنبدأ الآن . "كونتين" وأنا شاهدان . لنقف في جانب والمتزوجان في جانب آخر .

وبدأ القس مراسم الزواج .

الخاتمة

في يوم معتدل من شهر سبتمبر اجتمع آل "رامزي" وآل "برادي" في ضيعة آل "رامزي" ليحتفلا بميلاد الحفيد الأول لهما.

كان الطفل الرضيع مثار إعجاب الجميع .

قالت "نولا" :

- صورة مطابقة من والده .

أكد الأب السعيد جدا :

- إنه شره جدا . إن وزنه فوق الوزن المعتاد للأطفال .

أخذ "راد" الطفل الرضيع من بين ذراعي "إيلين" وهدهده .

- إنه الابن الأكبر لأبيه .

قال "جاد" :

- يا لأخي المسكين !... إنه يثير شفقتي . لم يعد يعرف أي شيء سوى التحدث عن الأطفال والصغار واللفافات والأوزان ! حتى في

اجتماعات العمل لا يستطيع منع نفسه من التحدث عن ذلك كله . إنه يستحق جائزة الأب السنوية .

قالت "إيلين" :

- إنه يستحق ايضا جائزة الزوج المثالي . لقد استيقظ هو في هذه الليلة عندما بكى الرضيع .

واصل "چاد" حديثه وهو يتصنع الذهول :

- ويمكنك أن تقولي إنني ساتخذه نموذجا ! لقد ادركت أنه غير اتجاهه في يوم اجتماع تجار المركز عندما سمعناه يتحدث عن جمال "كورتني" و"كاري بث" وقوة الرضيع .

لما كان غير متأثر تماما بمضايقات أخيه ابتسم "راد" .

أكد "كونتين" :

- أل "رامزي" دائما الأفضل في كل المجالات . لا يدهشني أن "راد" زوج مثالي وأب يحتذى به . على أية حال فإن ما قاله عن الأطفال حقيقة واقعة فهم أذكياء ونشطاء حقا .

قالت "نولا" :

- أحب أن يلتقط المصور صورة لكما أنتما الاثنان ومعكما الأطفال الثلاثة .

اقترب "راد" و"إيلين" من بعضهما البعض وحملت "إيلين" الرضيع ورفع "راد" الطفلتين بذراعيه .

تبادل الجميع نظرات السعادة والرقة التي خلدتها الصورة إلى الأبد.

تمت